روايات قصيرة Novella

Carson Mccullers

كارسن ماكالرز

Telegram:@mbooks90

تأملات في عين ذهبية

ترجمة: سمر عليمي

أثر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول

عادة ما تكون الثكنة مكانًا مملًا في أوقات السلم، فالأشياء نفسها يتكرر حدوثها. كما أن هندسة الحصن قد أضفت على المكان نوعًا من الرتابة، فلقد شُيدت مكوناته على نمط موحد سمته الصلابة، سواء الثكنات المبنية بالإسمنت المسلح، أو غرف الضباط المتعاودة في أنموذج واحد، إذ تصطف بانتظام كما لو أنها طوابير، فضلًا عن قاعة الرياضة، والمعبد وملعب الغولف حتى المسابح... ولعل الرتابة في وجه من وجوهها عائدة إلى ما يسم المكان من إفراط في السكينة والراحة والإهمال. ومن فرط الرتابة، يحكى أن رجلاً دلف الحصن ذات يوم ولم يجد بدًا من أن يتقفى وقع أقدام الجيوش التي كانت أمامه. تحدث في الوقت نفسه أشياء صدفةً محضًا، لا تتكرر إلا نادرًا، فلقد جدت قبل سنوات جريمة في إحدى الثكنات جنوب الحصن، وأبطال تلك المأساة ضابطان وجندي وامرأتان وقلبيني وحصان.

كان إليغي وليامز هو الجندي الذي شارك في هذه العملية، وكان نادرًا ما تراه يجلس وحيدًا على أحد المقاعد المتعاودة طول الممشى المقابل للثكنة. كان المكان مسليًا باعثًا للدعة والراحة، يجد فيه المتنزه غايته من النسائم والظلال، ففيه صفان طويلان من أشجار القيقب التي تزيد العشب جمالاً ورونقًا خاصًا يسحر الألباب، ويبعث الطمأنينة في الأنفس. في الربيع، كانت أوراق الأشجار تينع بلونها الأخضر وعندما تأتي الأشهر الحارة تضفي عليها مسحة سوداء. وتتوهج مشعة بلونها الذهبي في خواتم الخريف. هنا، كان يجلس الجندي وليامز منتظرًا الأوامر فينغمس في فوضى المساء. كان جنديًا هادئًا في مقتبل العمر. لا أعداء له في الثكنة ولا أصدقاء. كان وجهه المكور الذي لفحته الشمس، يكشف عما يسكنه من براءة. شفاهه حمراء وخصلات شعره البنية تنساب متلبدةً على جبهته. وفي عينيه اللتين تحملان مزيجًا غريبًا من اللون الأصفر والبني تعبيرة صامتة توجد عادةً في أعين الحيوانات.

يبدو الجندي وليامز رجلًا حاذًا وخطيرًا كلما رمقته، تكشف عن ذلك طريقته في الوقوف، ولم تكن تلك التعبيرة البادية على ملامحه إلا خداعًا. كان يتحرك بصمت كائن برّي ورشاقةِ لصٍ ليصعق الجنود بحضوره المباغت من حيث لم يحتسبوا، بعد أن خُيل لهم ألا أحد غيرهم في المكان. ومما يميز وليامز أن يديه كانتا صغيرتين،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صلبتين، قويَتين جدًا.

لم يكن الجنديّ وليامز يدخّنُ أو يشرب أو يمارس الجنس أو يقامر. في الثكنة يظلُّ منعزلًا، فكان يمثل لغزًا للبقية. يظلَ في أغلب أوقات نشوته في الغابة يتجوَل حول المعسكر. كانت الأرض الممتدَة على خمسة عشر ميلاً تعدَ أرضًا طاهرة، حيث توجد أشجار الصنوبر البكر العملاقة، كما توجد حيوانات خجولة، كالغزلان والخنازير البرّيَة والثعالب. وباستثناء ركوب الخيل، لا يعير الجنديّ وليامز أيّ اهتمام للرّياضات المتاحة للرّجال. لم يسبق أن رآه أحدٌ ما في النادي الرياضي أو في المسبح ولم يسبق له أن ضحك أو استعرَ غضبًا ولا عانى بأيّ شكل من الأشكال. يأكل ثلاث وجبات كاملة، ثلاث وجبات سخيّة في اليوم الواحد، ولم يسبق لهُ أن تذمَر من الطّعام مثلما يفعل بقيّة الجنود. كان ينام في غرفة تستوعب ثلاثة صفوف متوازية من الأسرَة. لم تكن غرفة آمنة. في اللَيل، عندما تطفأ الأضواءُ وتنبعثُ أصوات الشخير والشتائم وأنَات الكوابيس المخنوقة، يظلَ الجنديّ وليامز هادئًا. أحيانًا كان ينبعث صرير خفيف من عمود سريره، ذلك ما يصدر عنه فقط.

منذ انضمامه إلى الجيش، منذ سنتين، أُرسل إلى المنطقة الَتي يتحكَم فيها النقيب بندرتن. حدث ذلك بعد هذه الواقعة: في الأشهر السّتة الماضية، أصيب الجنديّ وليامز بحالة إرهاق طويلة ومستمرّة، فعندما كان متشبثًا بالحصان، اتّصل النقيب بندرتن بالرّقيب الأوّل في الثكنة وصادف أن كانت مجموعة كبيرة من الأحصنة في الخارج في عمليّة مناورة، ليظلَ الإسطبل وما حوله مهملًا. أُختير الجنديّ وليامز للقيام بهذا الواجب الخاصّ. طبيعة هذه المهمَة كانت بسيطة، فلقد أمر النقيب بندرتن بتنظيف مساحة من الغابة الَتي كانت تقع خلف مسكنه وبهذا يستطيع أن يضع آلة الشواء في الخارج ويقيم حفلته. تتطلَب هذه المهمَة يومًا كاملاً من العمل.

شرع الجنديّ وليامز في تنفيذ هذه المهمَة حوالي السّاعة السّابعة والنّصف صباحًا. كان يومًا معتدلًا ومشمسًا من أيّام أكتوبر. وكان على اطلاع مسبقٍ بمسكن النقيب إذ كان يلمحهُ أحيانًا وهو يغادر بيته عندما يكون في نزهة داخل الغابة. وأمكن له عبر متابعته أن يكتسب عنه فكرة. في الواقع، أصيب النقيب ذات يوم

بجرح نتيجة حادثٍ. منذ سنة ونصف من الآن، اشتغل الجنديّ وليامز بضعة أسابيع جنديًا لصالح الملازم الّذي كان يقود السَّريَة الّتي التحق بها في وقت لاحق. في ظهيرة ما، تلقّى الملازمُ زيارة من النقيب بندرتن وبينما كان يقدِم إليهما بعض المرطبات أسقط الجنديّ وليامز كوب قهوة على بنطال النقيب. بالإضافة إلى ذلك، كان ينظرُ إلى النقيب وهو يتردّد على الإسطبل إذ كان من بين مهامَه أن يعتني بحصان زوجته الكستنائي الذي كان دون شكَ يحمل أروع صهوة في الثكنة.

كان النقيب يعيش في ضواحي الثكنة. منزله ذو طابقين من الزّخرف المجصّص ومتكون من ثماني غرف. كان منزلًا مطابقًا لبقيَة المنازل الواقعة على امتداد الطّريق، لا يختلف عنها في شيء سوى أنه آخر المنازل. من الجانبين يربط العشب الغابة بمنطقة نفوذ الثكنة. على اليمين يوجد جار النقيب الوحيد، الزائد موريس لانغدن. كانت المنازل المطلّة على الشارع مقابلة لرقعة كبيرة من المرج البنيَ الّذي تمّ استغلاله اليوم تحت اسم حقل بولو.

عندما وصل الجنديّ وليامز، أتى النقيب كي يشرح له ما يريد فعله. تقليم أشجار البلّوط، إذ عليه أن يتخلّص من الأشواك الّتي تكسو بعضها، وأن يقلّمَ حواشيها الكبيرة التي نمت فيقلّصها إلى أقلّ من خمسة أقدام. أشار النقيب إلى شجرة بلّوط عالية تفصلها عشرون ياردة عن العشب وهي المساحة الّتي عليه أن يشتغل فيها. كان النقيب يرتدي خاتمًا ذهبيًا في إحدى يديه البيضاوين والسّميكتين، ويرتدي في ذلك الصّباح بنطالًا قصيرًا يمتدّ إلى الرّكبة، جوربا صوف طويلين، ومعطفًا جلديًا. كان وجهه حادًا ومرهقًا. شعرهُ أسود وعيناه بلّوريّتان زرقاوان. لم يعر النقيب أيّ اهتمام لوليامز وسلك طريقه مباشرة بعصبيّة وبسرعة. لقد أخبر وليامز أنهُ يريدُ من العمل أن يتمّ في ذلك اليوم وأخبرهُ بأنه سيعودُ في وقت مَا آخر الظّهيرة.

أمّا الجنديّ فقد كان يشتغلُ بنسق مطّرد كامل الصّباح. في الظهيرة يتّجه إلى المطعم لتناول الغداء. تمام الرّابعة، ينهي مهمّته باقتدار. لقد نفّذ أوامر النقيب كلّها، وأنجز عمله بإتقان منقطع النّظير. كانت شجرة البلوط الهائلة تشكّل حدودًا قاتلة وقد رسمت أوراقها المنسابة على العشبِ لوحة تدفع المرء إلى أن يترجّلَ ويمشي تحت ظلالها. ولأنّ الجنود قد قاموا بقطع أطرافها، ودرءا لما يمكن أن يطرأ من

إشكالات، فقد استند إلى جذعِ شجرة صنوبر وبقي ينتظر. شعرَ بطمأنينة وهو ينعزلُ مع ذاتهِ وسرت داخله سعادة وهو يقفُ هناك كما لو كان انتظارًا أبديًا.

فجأة، باغته صوت يسألهُ: «ما الّذي تفعلهُ هنا؟».

رأى الجنديّ زوجة النقيب قادمة من المدخل الخلفي للمنزل وهي تمشي نحوهُ قاطعة المرجَ الأخضر. لقد رآها ولكنّها لم تدخل منطقة وعيهِ المظلمة حتى تحدثت معه.

قالت الآنسة بندرتن: «لقد كنتُ في الأسفل، في الإسطبل، لقد جرح فايربيرد».

«نعم، امم». أجاب الجنديّ متلعثمًا وقد انتظر للحظاتٍ كي يتمثّل كلماتها ويتفهّمها فأكمل قائلا: «كيف؟».

«لا أدري حقًا. ربَما لحقهُ الأذى بسبب بعض البغال اللّعينة أو ربَما تركوهُ مع المهرات. لقد استعر جنوني بسبب هذا الأمر ولهذا سألتك».

استلقت زوجة النقيب على الأرجوحة الشبكيَة الّتي كانت تتدلّى بين شجرتين وقد كادت تلامس العشب. كانت ترتدي حذاءً طويلًا وقميصًا صوفيًا رماديًا وهذا ما جعلها امرأة في منتهى الأناقة. تتراءى من وجهها رباطة جأش مربكة كتلك الّتي تسكنُ قلب مريم العذراء. ترتدي قبعة برونزية تنسابُ على عنقها. عندما كانت تستريحُ هناكَ، أتى خادمٌ زنجيَ شابٌ، حاملًا صينيَة عليها زجاجة ويسكي والقليل من الماء. لم تكن السَيدة بندرتن حريصة جدًا على تناول المشروب الكحولي. شربت جرعتين وأعقبتهما بقليل من الماء البارد. لم تتكلَم مع الجنديّ مرَة أخرى ولم يطرح هو بدوره أسئلة حول حصانها. لم تكن مبالية بحضور الآخر أصلا. اتكأ الجنديّ على شجرة الصَنوبر وانغمسَ يحدَقُ في الفضاء الرَحب.

أحدثت الشمسُ ضبابًا مشعًا فوق العشب الأخضر. كانت أشعَة الشمس تتسرَبُ عبر أماكن لم تكن فيها أوراقُ الأشجار كثيفة ولكنّها كانت ترسم على الأرضِ أشكالًا ذهبيَة حارقة. انقشعت الشمسُ فجأة وكانت هناك برودة في الهواء وضوءٌ ورياحٌ صافية. كان وقتا مناسبًا للعودة إلى البيت. من مكان بعيد، انبعث صوتٌ من بوق حوَم صداه في الغابة. لقد كان اللّيلُ يجرُ خطاهُ مع المساء.

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

في هذه اللحظة، عاد بندرتن. أوقف سيارتهُ أمام المنزل ثمَ مضى عبر الباحة مباشرة كي يرى ما آل إليهِ العملُ. ألقى التحية على زوجتهِ وحيى الجندي الذي يقفُ الآن في انتباهٍ قبالتهُ. حدق النقيب في الفضاء الرحب وسرعان ما ضمَ أصابعهُ وكشر على أنيابهِ محدثًا تنهيدة ثقيلة. أدار عينيهِ وترك الضوء الأزرق المنبعث منهما يومضُ في اتجاه الجنديَ ثمَ قال في هدوء: «أيها الجندي، الفكرة كلها متجسدة في شجرة البلوط».

تلقى الجنديُ ملاحظتهُ في صمتٍ ولم تتغير ملامحُ وجهه المكوّر والصارم.

«لقد كانت التعليماتُ متمثلة في إزاحةِ شجرة البلوط فحسب». أكمل النقيب بصوتٍ مرتفعٍ ثم مشى نحو الشجرة وأشار له بأن يقطع الفروع المتخشبة. «الأوامرُ كانت متعلقة بالأغصان التي تنسابُ إلى الأسفل وتشكل ستارة أمام الغابة. لقد دمرت الآن كل شيء». كان هيجانُ النقيب في تصاعد كبير ولم يكن فقط ردة فعلٍ على حادث مؤسف. وقف وحيدا في الغابة، لقد كان رجلا قصيرًا.

سأل الجنديُ وليامز بعد صمتٍ طويل: «ماذا يريدني النقيب أن أفعل؟»

ضحكت السيدة بندرتن فجأة وأنزلت قدمها إلى الأسفل كي تغادر الأرجوحة الشبكية ثمَ قالت ساخرة: «النقيب يريدك أن تجمع الأغصان وترجعها إلى الأشجار مرة أخرى».

لم يكن زوجها مستمتعًا بالمشهد، أشارَ قائلًا: «هنا! اجذب القليل من الأوراق وضعها على الأرض كي تخفي الأماكن الفارغة التي أزحت عنها العشب وبعدها تستطيعُ الذهاب». رفع يدهُ كي يحيي الجندي ومضى في اتجاه المنزل.

مشى الجنديَ وليامز ببطء نحو الغابة المظلمة كي يجمع بعض الأوراق المتساقطة. أمَا زوجة النقيب فعادت إلى الأرجوحة وبدت كما لو أنها في طريقها إلى النوم. خيمَ على السماء نوع من الشحوب بينما كانَ هنالك ضوء أصفر يخيمُ على مكانٍ مَا يسودهُ الصمتُ.

لم يكن النقيب بندرتن في مزاجٍ جيد هذا المساء. عندما عاد إلى المنزل، مضى مباشرة إلى مكتبهِ. كانت غرفة صغيرة صُممت خصيصا كي يتسنى لأشعة الشمس بلوغها. جلس النقيب إلى مكتبهِ وفتح مفكرة سميكة ثمَ فتح خارطة أمامهُ وجذب

عصا من الدَرج. رغم ما يتوفَرُ لديهِ من معدَاتٍ إلا أنَهُ كان عاجزًا عن التركيز في عمله. شبك أصابعه خلف رأسه وانحنى به على المكتب بعينين مغلقتين. .

جانبٌ من انزعاجهِ كان بسبب الجندي وليامز. لقد رأى احتقارًا في الأمر، ورأى أنهم أرسلوا إليه جنديًا سيئًا من نوع آخر. ربَما كان هنالك القليلُ فقط، القليلُ من الرِجال في جميع الثكنات وجوههم مألوفة للنقيب. لقد نظرَ إلى جميع الجنود بازدراء كبير، فبالنسبة إليه كلُ الضُباط والرِجال لهم جينات بيولوجية واحدة ولكنَهم جميعًا كائنات مختلفة. يتذكَرُ النَقيب جيدًا مشهد اندلاقِ القهوة التي أفسدت له شعارا جديدا وزيًا رسميا فخما. كان زيَهُ الرَسمي مصنوعًا من قماشٍ صينيَ غليظ ولهذا لم تتلاش منه آثار القهوة. (كان النقيب يرتدي زيَهُ الرَسمي على الدَوام حتى خارج الثكنة، ولكنه كان يرتدي لباسًا مدنيًا في كلِ المناسبات الاجتماعية التي تضمَ الضُباط وكان شديد التعرَق). فضلًا عمَا تذكَره النقيب من حماقات الجنديَ وليامز، فقد ازداد حنقه، بسبب حادثة الإسطبل وحصان زوجته، وما حدث الساعة مع شجرة البلُوط.

كان النقيب جالسًا إلى مكتبهِ منغمسًا في أحلام يقظة مزعجة، وقد تفاقم غضبه على الجنديَ الَذي خالف أوامره، وفكَر جادًا في تقديمه إلى محاكمة عسكريَة، لإخلاله بالواجب. مثل تلك الفكرة، خفَفت من غضبه قليلًا. سكب لنفسهِ كوبَ شاي من الترموس الذي كان على الطاولة واستغرق مرَة أخرى في مخاوف لها أهمَية بالغة.

للضَجر الَذي ينتاب النَقيب أسباب كثيرة، فشخصيَته لم تكن سويَة أو متوازنة، لقد عاش في جدل دائم مع الحياة، والموت والجنس، هذا الثالوث الَذي يختزل وجوده. لقد ظلَت ميولاته الجنسيَة ممزَقة بين الجنسين، ولكنَه استطاع أن يؤالف بين ميولاته الذَكوريَة والأنثويَة، ورغم تلك الميولات فقد استطاع النقيب أن يحقَق لنفسه نجاحًا منقطع النَظير في عمله، فهو شعلة متقدة من الإخلاص والتفاني، ينتظره في المستقبل سجلَ وظيفي رائع ومرموق، ولعلَ فشله الوحيد كان مع زوجته الَتي لم ينل معها ما كان يصبو إليه من السَعادة، فضلا عن ميولات غريبة كانت تميَز شخصيَته، حالت دون انسجامهما، ووسمته بالارتباك والضَعف.

كان النَقيب بندرتن من ناحية أخرى، رجلًا حادَ الذَكاء. أثناء السنوات التي كان

فيها ملازمًا شابًا ورجلًا أعزب، تسنت له الفرصة للقراءة وكان زملاؤه الضباط يتجنبون غرفته. كان رأسهُ مليئًا بإحصائيات ومعلومات دقيقة. إضافة إلى ذلك، كان بوسعهِ أن يغوص أعمق في معطيات تتعلق بالجهاز العظمي لسرطان البحر أو بحياة المفصليات. كان يتكلم ويكتب بثلاث لغات بمهارة. زد على ذلك سعة اطّلاعهِ بعلمِ الفلك، كما كانَ يقرأ الكثير من الشعر. ولكن رغم معرفته بالعديد من الحقائق المتنوّعة، لم تكن للكابتن أيّة فكرة عالقة في رأسه. إذ لم يكن قادرًا على أن يفعَل ما لديه من معلومات أو أن يسعى إلى الربط بينها، أو إلى توظيفها، كان خزينة معلومات لا أكثر.

عندما جلس وحيدًا إلى مكتبهِ هذا المساء، عاجزًا عن العمل، لم يسأل نفسهُ ويستفسر عن هذه الأحاسيس التي يحملها. فكّر مرّة أخرى في وجه الجندي وليامز ثمّ تذكّر أنّهُ كانَ يتناولُ العشاء مع عائلة لانغدن في مساء ذلك اليوم. كان الرّائد موريس لانغدن عشيق زوجتهِ ولكنّ النقيب لا يبالي بذلك. تذكّر فجأة ما تملّكهُ في أحد المساءات التي أعقبت زواج زواجهُ. في ذلك المساء تملّكهُ الضجر وانتابهُ الحزنُ وكان قادرًا على تحرير نفسهِ بطريقة غريبة. لقد مضى إلى مدينة قريبة من الثكنة وأوقف سيارتهُ هناك ومشى طويلًا، سالكًا شوارع عديدة. كان ذلكَ في وقتٍ متأخرٍ من ليلةٍ شتويّة. أثناء مشيهِ في تلكَ الشوارعِ وجد النقيب قطّة صغيرة تتسكّعُ على عتبة بيت مَا. لقد وجدت القطّة ملجأ دافئًا: عندما انحنى النقيب وجد أنّ القطّة كانت تصدرُ خريرًا. حملها وتحسّسها وهي ترتعدُ على راحة كفّهِ. حدّق لوقتٍ طويل في وجهٍ ناعم وجميل وهو يربّتُ على فروها الدّافئ. كانت القطّة في عمرٍ يسمحُ لها بأن تفتح عينيها الخضراوين. في النهاية أخذ النقيب القطّة معهُ. هناك، في إحدى الزوايا، كان ثمّة صندوق بريديّ، نظرَ إليهِ قليلًا ثمّ همّ بفتحهِ ووضع القطّة داخله قبلَ أن يكملَ طريقهُ ويتركها.

سمع النقيب الباب الخلفيّ وهو يندفعُ فغادر مكتبهُ. في المطبخ كانت زوجتهُ جالسة على الطّاولة بينما كانت خادمتها سوزي تخلع زوجي حذائها. لم تكن السّيدة بندرتن تحملُ تربية جنوبيّة خاصة. لقد وُلدت وكبرت مع العسكر، ووالدها الذي حصل على رتبة عميد قبل تقاعده، كانت أصولهُ تعودُ إلى الساحل الغربي. أمّا والدتها فقد كانت من جنوب كارولينا، ورغم ذلك فإن صفاتِ زوجة النقيب كانت تبدو جنوبيّة بما يكفي. لم يكن موقد الغاز مبقّعا كموقد جدّتها بل كان نظيفًا

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بطريقة مَا. تحملُ السَيدة بندرتن عديد المعتقدات الجنوبيّة، مثلا ترى أن الفطائر أو الخبز لن تكون صالحة للأكل ما لم يتم عجنها على طاولة من رخامٍ. ولهذا السَبب نفَذ النقيب طلبها منذ إقامتهِ في ثكنة شوفيلد حيثُ استولى فيها على الطَاولة التي تجلسُ عليها الآن. إذا كان من حظّ زوجة النقيب أن تعثر على شعرة سوداء في الطَعام فستزيلها في هدوءٍ بمنديلها.

قالت السَيدة بندرتنون: «سوزي، هل يملكُ البشرُ أحشاء كأحشاء الدَجاج؟».

وقف النقيب على عتبةِ الباب ولم ينتبه لا إلى زوجته ولا إلى الخادمة. عندما خلعت حذاءها، مضت السَيدة بندرتن حافية في المطبخ. أخذت قطعة لحم خنزير من الفرن ووضعت فوقها القليل من السَكر والقليل من فتاتِ الخبز ثمَ سكبت لنفسها مشروبًا آخر، فقط نصف كأسٍ الآن، وعلى نحو مفاجئ رقصت رقصة قصيرة. كان النقيب منزعجًا جدًا من زوجتهِ وكانت على علم بذلك.

«بحقّ الرَب، ليونورا، خذي الأحذية وضعيها هناك».

تمتمت السَيدة بندرتن قليلا بصوتٍ خافت غريب ثم مضت نحو غرفة الجلوس فتبعها النقيب.

«تبدين أشبه ما تكونين بمومسٍ تطوف بالمنزل وأنت على هذه الحالة».

انحنت السَيدة بندرتن بينما كانت النيرانُ تشتعلُ في الموقد. كان وجهها النَاعم المتورَد يلمعُ من خلال حبَات العرق التي كانت على شفتها العليا.

«عائلة لانغدن قادمة الآن وستصل في أيَة دقيقة. هل ستجلسين على هذه الهيئة لتتناولي العشاء؟».

«نعم، ولمَ لا أيَها المخنث؟».

قال النقيب ببرودٍ وبصوت خافتٍ: «أنت تشعرينني بالقرف».

أجابت السَيدة بندرتن بضحكة مفاجئة تمتزجُ فيها الأنوثة بالوحشيَة كما لو أنَها استقبلت أخبارًا فاضحة أو سمعت نكتة خبيثة. خلعت قميصها وكوَرتهُ، رمتهُ في زاوية من الغرفة ثمَ فتحت أزرار بنطالها ونزعته . في وقتٍ قصيرٍ وجدت نفسها واقفة وهي عارية تمامًا أمام الموقد. كان الضَوء البرتقالي المنبعث من جسدها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جذّابًا. أمّا كتفاها فقد كانتا مستقيمتين ولهذا أحدثت عظمة الترقوة خطًا حادًا. عروق زرقاء رقيقة كانت تمتدّ بين نهديها . بعد سنواتٍ قليلة سيضحي جسدها أشبه بوردة فقدت بتلاتها، ولكنّها الآن تحافظ على نضارته بالزياضة. رغم أنّها كانت تقفُ في هدوءٍ تامٍ وسكون، فإن جسدها كان محاطا باهتزاز خفيف. في وسع المرء أن يستشعر تدفّق دمها الخافت بمجرّد تحسّس جسدها. . بينما كان النقيب يحدّقُ بسخطٍ وذهولِ رجلٍ تلقى صفعة على الوجه. مشت بهدوء في الدّهليز متّجهة نحو الدّرج. كان الباب المقابل مفتوحًا، وفي تلك اللّيلة كانت ثمّة نسمة تهبّ إلى الدّاخل وترفعُ شعرها البرونزي.

مشت عبر الدّرج قبل أن يتمالك النقيب نفسهُ من هول الصّدمة ويركض خلفها مرتعدًا وهو يقولُ باختناقٍ: «سأقتلكِ! سأفعلها وأقتلكِ!». وضع يدهُ على الدّرابزين وتشبّث به بينما كانت قدماهُ تسلكان الدّرجات وهما على وشك الانقضاض عليها.

عادت ببطء ونظرت إلى أسفل محدّقة فيه دون مبالاة ثمّ قالت: «يا بني، هل جرّبت يوما أن يتمّ خنقك وجرّك إلى الشّارع من قبل امرأة عارية؟».

وقف النقيب وقد غادرتهُ زوجتهُ فانحنى على الدّرابزين وهو يضع رأسهُ على كتفيهِ فانبعث من حنجرتهِ صوتٌ خشنٌ أشبهُ ما يكون بتنهيدة ولكن لم تكن ثمّة دموع على وجهه. كان قد مرّ وقتٌ قصير عندما جذب منديلًا صغيرًا ومسح به عنقهُ. وكلّ ما لمحهُ بعدَ ذلكَ هو وجود باب مفتوح أمامهُ. كان المنزلُ منيرا وكلّ الظّلال الّتي فيه على قيد الحياة. شعر بسقمٍ رهيب. في وسعِ أيّ كائنٍ أن يمرّ عبر الشارع المظلم المقابل للبيت. فكّر في الجنديّ الّذي غادرهُ منذ فترة وتركهُ عند مدخل الغابة بعينين كادتا تنفجران من الغضب ثمّ عاد إلى مكتبهِ حيثُ كانت هناك زجاجة قديمة من البراندي القوي.

لا وجود لرجل أو لوحش أو لشرّ كامن في وسعه أن يوقظ خوف ليونورا بندرتن. لم تكن تعرفُ الرّب والكائنُ الوحيد الذي كانت تفكّرُ فيه كان والدها الطّاعنُ في السّن وهو يقرأ الإنجيل في ظهيرة كلّ أحد. من ذلك الكتاب تتذكّرُ شيئين فقط بوضوح: أنّ اليسوع صُلب في جبل الجلجثة والشيء الثاني أنه امتطى حمارًا، فأيّ طبيعة تدفعُ الإنسان إلى أن يركب حمارًا؟

بعد مضيّ خمس دقائق نسيت ليونورا بندرتن المشهد الذي كان مع زوجها. ملأت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حوض الاستحمام ورمت ملابسها. كانت ليونورا محلّ نميمة جميلة بين نساء الثكنة.

في نظرهنَّ، يبدو ماضيها وفضائحها في الوقت الحاضر خليطًا مليئا بالاستغلال العاطفيَ. ولكن كلُّ ما قالته النساء كان مجرَد إشاعة وحدس فليونورا بندرتن كانت شخصًا يجدُ متعة في تنظيم حياته وكانت ضدَ كلَ التعقيدات. عندما تزوَجت النقيب كانت عذراء. ظلّت عذراء حتى بُعيْد مضيَ أربع ليال وفي اللَيلة الخامسة تغيرت حياتها بما يكفي كي تزرع فيها الحيرة أينما كانت، وهذا ما تجد بقيَة النسَاء صعوبة في قوله.

في الثكنة، تجد ليونورا بندرتن متعة في انتشار سمعتها كمضيَفة جميلة وكرياضيَة ممتازة وامرأة عظيمة أيضًا. ولكن كان ثمَة شيء أربك أصدقاءها ومعارفها. لقد تحسَسوا عنصرًا في شخصيتها لا يمكنهم أن يضعُوا أصابعهم عليه، تلك الحقيقة الَتي تقولُ إنَها لم تزل امرأة حمقاء.

لم تظهر هذه الحقيقة اعتباطا في الحفلات أو الإسطبلات أو على طاولة العشاء. كان هنالك ثلاثة أشخاص فقط هم من تفهَموا الأمر: والدها الطَاعنُ في السَن، الجنرال الذي عانى الكثير حتى تزوَجت، وزوجها الذي ينظرُ إلى ما يصدر عنها، بعدَه ظرفا عابرا تمرُ به أيَة امرأة دون الأربعين، فضلًا عن الرَائدِ موريس لانغدن الَذي عشقها بجنون. إذا توجَبَ عليها كتابة رسالة من أجل تهنئة عمَها بمناسبة عيد ميلاده أو كتابة رسالة في طلب لجامٍ جديد، فسيكون ذلك عملًا ثقيلًا بالنَسبة إليها. حينها، كان عليها أن تغلق باب المطبخ على نفسها في عزلة مع سوزي . يجلسان معا على طاولة مليئة بعدد كبير من الأوراق وعديد الأقلام المبرية بدقَة. وحين تنتهي من الكتابة على الورقة يكون التعبُ قد تملَك كليهما وعليها أخذ قسطِ من الزاحة مع مشروب مَا.

استمتعت ليونورا بندرتن بحمَامها السَاخن في ذلك المساء ثمَ ارتدت على مهل ملابسها الَتي كانت قد وضعتها على الفراش. ارتدت تنَورة رماديَة بسيطة وسترة صوفيَة زرقاء وقرطًا من لؤلؤ. نزلت إلى الأسفل مرَة أخرى مع تمام السَاعة السَابعة وكان ضيوفها في انتظارها.

وجدت ليونورا رفقة الرَائد أنَ العشاء في المتناول ولهذا تمَ البدء بالحساء، ثمَ

تناولا شرائح من لحم الخنزير عليها القليل من زيت الخضروات الدسم وبعض البطاطس الشفافة الّتي كانت تلمعُ تحت الضَوء بالصَلصة اللَذيذة. كان هناك لفائفُ من الخبز السَاخن. وزعت سوزي الخضروات مرَة واحدة على الصَحون الّتي كانت بين الرَائد وليونورا، فقد كان كلاهما شرهين في الأكل.

جلس الرَائدُ وهو يضعُ مرفقهُ على الطَاولة. بدا وجهه البني كليلًا ومرحًا في آن وهو يومئ بتعبيرات من الألفة. من بين كلّ الضَباط والجالسين هناك كان هو أشدَهم شهرة. لم يكن ثمَة حديث آخر على الطَاولة باستثناء الحديث عن واقعة الحصان. أمَا السَيدة لانغدن فبالكاد تلامسُ عشاءها. كانت امرأة صغيرة وهشة تحملُ أنفا كبيرا وفما صغيرا. كانت معتلَة، شاحبة، ولم تكن علَتها جسديَة فحسب، فقد كابدت الحزن والقلق وهي الآن على حافة جنون حتمي.

جلس النقيب بندرتن وهو يضعُ مرفقيهِ اللَذين كانا ملتصقين بجسده على الطَاولةِ. قام بتهنئة الرَائد على الميداليَة التي تلقَاها مؤخرا. نقر مرَاتٍ عديدة أثناء العشاء على حافَة كوب الماء وهو ينصتُ إلى صداهُ الصَافي. انتهت وجبة العشاء فتناولوا بعض الحلويات ثمَ مضوا أربعتهم نحو قاعة الجلوس كي ينهوا أمسيتهم بلعب الورق وتبادلِ الحديث.

قال الرَائدُ في انشراح: «عزيزتي، أنت طبَاخةٌ رائعة ولعينة».

الأربعة الّذين كانوا على الطَاولة لم يكونوا بمفردهم. ففي الخارج، في ظلمة النَافذة كان هناكَ رجلٌ يقفُ وحيدا وهو يشاهدهم في صمتٍ. كانت ليلة باردة تشحذُ فيها رائحة الصنوبر الهواء وتهبُ فيها الرَياح، أمَا السَماء فقد كانت تلمعُ بنجومٍ جليدية. الرَجلُ الّذي كان يشاهدهم كان يقفُ وهو يلتصقُ بالنَافذة إلى درجة أنَ أنفاسه في وسعها أن ترتسم على بلوْرها.

رأى الجنديُ وليامز السَيدة بندرتن وهي تغادرُ الغرفة فتسلكُ الدَرج متجهة ناحية حوض الاستحمام. لم يسبق لهُ أن شاهد امرأة عارية كامل حياته. لقد كبر في حصنٍ للذكور فحسب ونشأ على يد أب تولَى تسيير مزرعة مليئة بالبغال وكان يشتغل واعظًا أيام السَبت في كنيسة هولينيس. لقد تعلَم أنَ النساء يحملن في داخلهنَ أمراضا قاتلة وآسرة تجعلُ الرجل أعمى وأعرج ومحكومًا عليه بنيران الجحيم. في الثكنة أيضا، سمعَ أحاديث كثيرة عن هذا المرض الخطير إلى درجة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن الطَبيب قام بفحصهِ كي يرى ما إذا كان قد لمس امرأة أم لا. لم تكن للجنديَ وليامز أية رغبة في تحسس النساء أو النظر إليهنَ أو الحديث عن أيَ امرأة منذ بلوغهِ الثامنة من العمر.

لقد تأخَر عن جمع أوراق الخريف المتساقطة من الغابة. عندما أكمل واجبهُ، مرَ عبر المرج الأخضر الَذي كان على ملكِ النقيب. نظر بالصَدفة المحض في اتَجاه دهليز كان ينبعثُ منهُ ضوءٌ حادٌ ومن حينها لم يجد الرَغبة في تجاوز ذلك المكان. وقف متجمَدًا في مكانهِ في ليلة يحوَمُ فيها الصَمت في كلَ مكان بينما كانت يداهُ معلَقتينِ على جانبيه. عندما تمَ تقطيعُ لحم الخنزير في ذلك العشاء، تنفَس بصعوبة. قبر رغبتهُ وهو ينظرُ إلى زوجة النقيب. لم تتغَير التعابير التي زُرعت على وجهه. عندما غادرت الزَوجة غرفة الأكل ظلَ واقفا هناك للحظاتٍ ثمَ عاد أدراجهُ ببطءٍ بينما كان الضَوء الخافتُ خلفه يرسمُ ظلَهُ فوق المرج النَاعم. كان الجنديُ يمشي بخطى لا وقع لها مثل رجلٍ أرَقهُ حلمٌ مظلمٌ.

الفصل الثاني

في وقت مبكر من صباح اليوم، مضى الجنديُ وليامز ناحية الإسطبل. لم تشرق السماء بعد وكان الهواء شاحباً وباردًا. شرائط بيضاء من ضبابٍ تلتصقُ بالأرض الرَطبة، أمَا السَماء فقد كانت رماديَة. كان ثمة في الطَريق التي تؤدّي إلى الإسطبلات منحدرٌ تظهر من خلالهِ غرفة الحجز المخفيَة. كانت الغابة ترتدي ألوان الخريف الكاملة التي انتشرت فوق أشجار الصَنوبر السَوداء ومن بينها أشجار قرمزية وأخرى صفراء. مشى الجندي وليامز في هدوء عبر الطَريق المحاطة بالأشجار. توقّف مرّات عديدة منتصب القامة، صامتًا وفي وضعيَة بدا كما لو أنهُ ينصتُ إلى نداءٍ من مسافة بعيدة. سفعت الشَمس جلده الذي كان يلمع مع الهواء الصَباحي وبين شفتيه كانت لم تزل هناك آثار بيضاء للحليب الذي شربه في فطور الصباح. قاطع تسكّعه بالتوقف مرارا في الطريق حتى بلغ الإسطبلات وأشرقت الشَمس وأخذت مكانها عاليًا في السَماء.

داخل الإسطبل كانت الظَلمة لم تزل في مكانها، ولم يكن ثمَة أحد هناك. كان الهواء حبيسًا ودافئًا والرَائحة كانت كريهة. بينما كان الجنديُ يمرُّ عبر مرابط الأحصنة سمعَ أنفاسًا هادئة لأحصنة نائمة. حصان ينخَر وحصان يصهل. في حين، نظرت إليه أحصنة أخرى بعيون صامتة ومشرقة. كان الجنديَ وليامز يحمل في جيبه كيسًا مليئًا بالسكّر يقدّم منه للخيل، وبفعل لعاب الأحصنة تزداد يداه لزوجة ودفئًا مع مرور الوقت. مضى نحو مربطِ مهرة صغيرة كانت في انتظار ولادة مهرٍ صغير. قامَ بالتّربيت على بطنها المنتفخة ووقف لبعض الوقت حاضنًا رقبتها ثمَ سمح للبغال بالخروج من الزَريبة. لم يكن الجنديُ وحيدًا مع البهائم هناك، فمع مضيَ القليل من الوقت التحق به بعض الرّجال لأداء واجبهم. حدث ذلك في يوم السَبت. كان يومًا مزدحمًا في الإسطبلات إذ كانت الأحصنة تنقلُ الأطفال والنّساء للمضيَ نحو الثّكنة، ولهذا كان الإسطبلُ مليئًا بالضَجيج وبالخطواتِ الثقيلة حتى اضطربت الأحصنة في مرابطها.

كانت السَيدة بندرتن أوّلُ من يأتي ليمتطي الفرس، وكان غالبًا ما يرافقها الزّائد لانغدن. لقد رافقهما النقيب بندرتن اليوم على غير العادة إذ تعوّد امتطاء فرسه في وقت متأخر من الظَهيرة. كان ثلاثتهم جالسين فوق حائط وقد أحكموا الأسرجة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الأخيلة. ضرب النقيب الحصان فايربيرد فركض بعيدا. ذلك الحصانُ ذاتهُ الّذي أقلق جرحُه زوجة النقيب وبالغت في ذلك. في قدم الحصانِ اليسرى من الجهة الأمامية كان ثمّة خدشٌ تمّت مداواتهُ بماء اليود.

وهو ينطلقُ مع ضياء الشمس، أدار الحصانُ منخريه في غضبٍ ورفعَ عنقهُ عاليًا كي ينظر إليه. كان سرجهُ من الجلد النّاعم كما لو كان حريزًا، أمّا عرفهُ فقد كانَ كثيف الشعر ويلمعُ تحت أشعّة الشّمس.

مع النّظرة الأولى يبدو الحصان على درجة كبيرة من النموّ وثقيلًا جدًا في آن. كانت فخذاه عريضتين وسمينتين وكانت ساقاه سميكتين نوعًا مّا. ولكنه كان يتحرّكُ بأنفةٍ شديدةٍ. عندما امتطتهُ السّيدة بندرتن، ربا إلى أعلى مرّتين وحاولَ أن يمزّقَ اللّجامَ فأجهدَ نفسهُ قليلًا وانحنى برقبتهِ ورفعَ ذيلهُ عاليًا. خطا جانبًا بسرعةٍ فسال من فمهِ اللّعاب وتسرّبَ من كمامتهِ. طيلةَ الصّراعِ الدّائرِ بينَ الحصانِ وممتطيهِ، كانت السّيدةُ بندرتن تضحكُ بصوتٍ عالٍ وتتحرّكُ مع فايربيرد الذي كانَ بدورهِ مفعمًا عاطفةً وفرحًا. كانت تقول: «أيّها اللقيط الحقير!»

انتهى الصّراعُ بسرعة مثلما ابتدأ.

في الواقعِ، يبدو من الإجحاف أن نلقّبَ الشّجار العابرَ كلّ صباحٍ بأنّهُ صراعٌ حقيقيّ. حين عادَ الحصانُ البالغُ عامين وهو لم يروّض بعدُ، بدت عودتهُ علامةَ إخلاصٍ كافيةٍ. سبقَ للسيدةِ بندرتن أن سقطت مرّتينِ بشكل مريع، وحينَ عادت من نزهةِ ركوبِ الخيلِ، لاحظَ الجنودُ أنها قضمت شفتها السّفلى إلى درجة أنّ الدّم كانَ يتقاطر على سترتها وقميصها.

ولكنّ هذا الصّراعَ كانَ في النّهاية نوعًا من التّصنعِ الكاذبِ ومسرحيّة هزلية تلهيهم وتخلقُ المتعة في قلوب من يتابعونهما. حتّى حينَ يقطر اللّعابُ من فمهِ، يتحرّكُ الحصانُ بأنفةٍ كبيرةٍ كما لو كانَ خائفًا من أن يكونَ محلّ مشاهدةٍ. بعدَ أن تنتهي اللّعبةُ، يقفُ في هدوءٍ فيتنهّدُ ويلقي نظرة من حولهِ تمامًا مثلما يتنهّدُ الزّوجُ الشّابُ ويضحكُ رافعًا كتفيهِ استجابة لرغبةِ زوجتهِ الحبيبة المشاكسة. ومتى استثنينا هذه التمرّداتِ الخادعةِ فالحصانُ يبدو على درجة كبيرة من التّدريب.

بالنّسبةِ إلى الخيّالةِ المحترفين من الجنودِ، كانَ لكلّ منهم كنيتهُ في الإسطبلِ،

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

يخاطبونَ أنفسهم بها. الرّائدُ لانغدن كانَ يكنّى بالجاموس ذلكَ أنهُ عندما يكون على سرجِ الحصانِ يقومُ بإسقاطِ ذراعيهِ السميكتين وإنزالِ رأسهِ. كانَ الرّائدُ فارسًا جيّدًا. عندما كانَ جنديًا شابًا، لُقبَ بهذه الكنيةِ النّادرةِ في حقلِ بولو. في المقابلِ، لم يكن النقيب بندرتن فارسًا مطلقًا ولكنّهُ لم يكن على وعيٍ بذلكَ. عادةً ما يمتطي الحصان ويظلّ متجمّدًا في المكانِ المحدّدِ من قبلِ مدرّبهِ. ربّما لو رأى نفسه في المرآة وهو يمتطي حصانًا لتخلّص من علاقتهِ بالخيولِ إلى الأبد. تنسابُ مؤخرتهُ برخاوةٍ على السّرجِ ولهذا السّبب يُعرفُ عندَ الجنودِ ب النقيب فلاب فاني. السّيدة بندرتن كانت تلقبُ ببساطة بالسّيدة، فلقد كان كلّ الموجودين في الإسطبل يكنّون لها نوعًا مخصوصًا من الاحترام، وكثيرًا من الإجلال.

في هذا الصّباح، انطلق ثلاثة من الخيّالة في نزهةٍ هادئةٍ بقيادة السيّدة بندرتن بينما كان الجنديّ وليامز واقفًا وهو يشاهدهم إلى أن غابوا عن الأنظار. وسرعان ما تبيّنَ من وقع الحوافر أنّ الأحصنة قد انطلقت في خببٍ عابرة الطرق الوعرة. الشّمس كانت أشدّ سطوعًا والسماء قد تدثّرت بزرقة دافئة تشعّ جمالاً.. في الهواء النّقي تنسابُ رائحة الرّوث ورائحة الأوراق المحترقة. ظلّ الجنديّ لوقتٍ طويلٍ هناك ليأتي الرّقيب في النّهاية نحوه ويهدر كعادته: «هاي، أيّها المجنون، هل تريد أن تحدّق إلى هناك إلى الأبد؟ أعتقد أنك لن تسمع وقع حوافر الأحصنة مرّة أخرى». مزر الجنديّ الشّاب أصابعه بين شعر خصلته وأعادها إلى الخلف ثمّ عاد إلى عمله في هدوءٍ ولم ينبس بكلمةٍ كامل اليوم.

في وقتٍ متأخرٍ من المساء، ارتدى الجندي وليامز ملابس نظيفة ثمّ توجّه إلى الغابة. مضى على طول المعسكر حتّى بلغ الجزء الذي قام بحذفه في الغابة من أجل النقيب بندرتن. لم يكن المنزل مضاءً مثلما كان من قبل. الإنارة كانت في غرفةٍ واحدةٍ تقع على يمين الدّرج في رواقٍ يقود إلى غرفة الأكل. عندما اقترب الجنديّ، وجد النقيب في مكتبه وحيدًا. كانت زوجة النقيب في الغرفة المنارة في الأعلى حيث كانت الستائر مسدلةً. المنزل، مثل جميع المنازل المجاورة، كان جديدًا ولهذا لم يكن ثمّة ما يكفي من الوقت كي تنمو الشجيرات في الباحة. ولكنّ النقيب كان يملك ثلاث عشرة شجرة أُقتلعت وزُرعت في صفٍّ على طول الجانبين حتّى لا يبدو المكان موحشًا وعاريًا. كانت أشجارًا محميّة بأوراقها الخضراء ومن خلالها لم يكن من السّهل رؤية الجنديّ في الشارع أو في المنزل. كان يقفُ بالقربِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من النقيب، ولو كانت النافذة مفتوحة، لكان في وسعه الاقتراب ولمسه بيده.

جلسَ النقيب بندرتن إلى مكتبهِ وظهره موجه ناحية الجنديَ وليامز. كان يتململ على الدَوام وهو يقرأ. إلى جانب الكتب والأوراق على مكتبه، كان هنالك وعاء من زجاج أرجوانيَ، زجاجة شاي وعلبة سجائر. شرب الشاي والنبيذ الأحمر. مع مرور عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة، كان قد أشعل سيجارة. كان يعملُ حتى السَاعة الثَانية صباحًا والجنديَ يشاهدهُ.

منذ تلك اللَيلة، بدأت مرحلة غريبة. كان الجندي يعودُ كلَ مساء، يسلكُ الطريق نفسها في الغابة، ويحدَقُ في كلَ ما يحيطُ بمنزل النقيب. عند نوافذ كلَ من غرفتيَ الطَعام والجلوس كانت هناك ستائر من الدانتيل يمكن أن يرى من خلالها ما يحدث في الداخل ولكن لم يكن من السَهل أن يرى نفسهُ. لقد وقف جانب النافذة، مسترقًا النَظر، دونَ أن يسقط الضوء على وجههِ. لم تحدث أشياء كثيرة داخل المنزل. أغلب الظَن أنهم أمضوا الوقت خارج المنزل ولن يعودوا قبل منتصف اللَيل. في أحد المرَات، كانوا ستة ضيوفٍ في حفلِ عشاء. معظم المساءات كانوا يمضونها مع الرَائد لانغدن، الَذي عادة ما يأتي إمَا بمفردهِ أو رفقة زوجتهِ. يشربون، ويلعبون الورق ويتبادلون أطراف الحديث في غرفة الجلوس، أمَا الجنديَ فيثبِت عينيهِ على زوجة النقيب.

خلال تلك الفترة، لوحظ تغيير على الجندي وليامز. كانت عادته الجديدة في التوقَف فجأة والتَحديق من حوله لفترة طويلة لم تزل تلازمه . عادة ما يكون منهمكًا في تنظيف الإسطبل أو مشغولا بسرج بغل والسَعادة تغمره. أحيانًا كانَ يقفُ دون حراك إلى درجة أنه لا ينتبه إلى اسمه حين ينادى عليه. لاحظ الضَابط ما طرأ على الجنديَ ولم يكن مرتاحًا للأمر. فمن النادر أن يتصرَف الجنود بتلك الغرابة، لقد نشأ الجنديَ وليامز على حنين إلى الحقل وإلى النَساء، كبر في داخله بمرور الأيَام. ولكن عندما سأله الضَابط، أجابه أنه لم يكن يفكَر في أيَ شيء بتاتًا.

لقد نطق الجنديَ بالحقيقة. رغم تعابير وجهه الَتي كانت توحي بأنه في حالة انتباه، إلَا أنَ عقلهُ كان فارغًا دون خطط أو أفكار. في داخله كان هنالك انعكاس عميق لما رآه ليلتها وهو يعبرُ أمام دهليز النقيب. لكنه لم يفكَر مطلقًا في السيدة أو في أيَ شيء آخر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومع ذلك، كان من الضروري أن يتوقَف مؤقتًا وينتظر هذا الموقف الشائك، فقد بدأت الظلمة في التشكّل ببطء. أربع مرات في سنواتِهِ العشرين، كان الجندي قد تصرَف فيها من تلقاء نفسه دون أن يخضع للظروف الطارئة وضغوطاتها. تلك المرات سبقتها أحداث غريبة. أوَل تلك الأحداث، كان أمرًا مفاجئًا يتعلَقُ ببيع بقرة. مع مرور الوقت، بلغ السابعة عشر من عمره. كان قد جمع ألف دولار من خلال حرثِ الحقول وجمع القطن. بذلك المبلغ من المال، اشترى هذه البقرة وأطلق عليها اسم روبي جويل. لم يكن بحاجة إلى حقل والده كي يضع بقرته، إذ لم يكن مسموحًا لهم حينها ببيع الحليب، وإذا أقدموا على ذلك فسيتعرَضون إلى التحقيق من قبل الحكومة، والحليب كان يشكّلُ فائضًا عن حاجة عائلته.

في الصَباحات الشتويّة، ينهضُ الطفلُ قبل شروق الشمس وينصرف حاملًا مصباحا كي يتفقد بقرتهُ في الإسطبل. كانَ يضغطُ بجبينه على بطنها وهو يحلبها ويتحدَثُ إليها ويهمس لها بنعومة، ثمَ يضع يديه في سطل من الحليب المزبدِ ويشرب.

الحدث المفاجئ الثَاني هو إعلانُ موقفهِ الصَادم والمفاجئ من الرَب. كان دائمًا ما يجلسُ في هدوء على أحد المقاعد الخلفيَة للكنيسة حيث كان والده يبشَر يوم الأحد. لكن في إحدى اللَيالي قفز فجأة إلى المنصَة. ودعا الرَبَ بأصوات غريبة وموحشة تدحرجت على الأرض. عانى بعدها من ضعف شديد تملَكهُ لمدَة أسبوع ولم يجد الرَوح الَتي يبحثُ عنها.

وكان ثالث هذه الأفعال جريمة ارتكبها ونجح في إخفائها. والرَابع كان تجنيده في الجيش.

جميع هذه الأحداث حدثت فجأة دون أيَ تخطيط واع من جانبه. ولكنهُ أعدَ نفسهُ لها بطريقة عجيبة. على سبيل المثال، قبل شراء بقرته، كان يقف ويطيل التحديق في الفضاء الرَحب ثمَ قام بتنظيف الحظيرة الَتي كانت تستخدم لتخزين القمامة. عندما أحضر البقرة إلى المنزل، كان هناك مكان جاهز لها. تصرف قبل تجنيده بالطريقة نفسها التي تدبَر بها أموره الصَغيرة. لكنه لم يكن يعلم في الحقيقة أنه سيشتري بقرة حتى يحسب ماله ويضع يده على الرسن. بمجرَد صعوده على عتبة مكتب التجنيد تبخرت الانطباعات داخله وتجمَعت في فكرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واحدة ليدرك من خلالها أنه سيكون جنديًا.

على مدى أسبوعين تقريبًا استكشفَ الجنديّ وليامز بهذه الطريقة السريّة مسكنَ النقيب. لقد صار على علم بعادات الأسرة. كان الخادم عادة ما يكونُ مستلقيًا على السرير في تمام الساعة العاشرة. بعد أن تقضي السيدة بندرتن المساء في غرفةِ الجلوس، تصعدُ إلى الطابق العلويّ في حوالي الساعة الحادية عشرة وتطفئ النور في غرفتها. ككلّ ليلة، عمل النقيب من الساعة العاشرة حتى الثانية صباحًا.

في اللّيلة الثانية عشرة سار الجنديّ عبر الغابة ببطء أكثر من المعتاد. رأى من مسافة بعيدة المنزل مضاء. في السماء كان هنالك قمر أبيض لامع وكانت اللّيلة باردة تغشوها مسحة فضّيّة. يمكن رؤية الجنديّ بوضوح أثناء مغادرته الغابة ليمرّ عبر المرج الأخضر. كان يضع في يده اليمنى سكّينَ جيبٍ.. قام بتغيير حذائه الملطّخ. من غرفة الجلوس تنبعثُ أصوات كثيرة. اتّجه الجنديّ إلى النّافذة.

كانت ليونورا بندرتن تقول: «اهزمني موريس، أعطني أكبر رقم هذه المرّة».

كان الرّائد لانغدن وزوجة النقيب يلعبان الورق. وكانت الرّهانات تستحق اللّعب حينها، إذ كانت خاضعة في نظامها لحساب بسيط للغاية. إذا فاز الرائد بجميع القطع الموجودة على الطّاولة، سيحصل على حصان لمدة أسبوع وإذا فازت ليونورا فستحصل على زجاجة من الجاودار المفضّل لديها. في السّاعة الأخيرة قام الرّائد بجمع أغلب القطع. أضفت ألسنة اللّهب حمرة على وجههِ الجميل، بينما كان يقرعُ الأرضَ بحذائه. ثمّة مسحة بيضاء على شعرهِ الأسود وكان شارباهُ يميلان إلى اللّون الرّماديّ. الليلة ارتدى زيّهُ الرّسمي. كتفاه الثقيلتان مترهّلتان . وكانت تلوحُ منهُ سعادة ما، لكن بمجرّد النّظر إلى زوجتهِ، يخبو البريق الصّادر من عينيه المتوسّلتين. هواء أخّاذٌ كان يهبُّ من ليونورا الّتي كانت تحاول أن تخفي الورق بأصابعها تحت الطّاولة.

«هل أفلستُ؟».

قال الرّائدُ: «لا يا عزيزتي. الحصان تكلفتهُ اثنان وعشرون».

جلس النقيب بندرتن والسيدة لانغدن أمام الموقد. لم يكن أيّ منهما في حالة ارتياح. كان كلاهما يتحذثان بعصبية هذا المساء عن البستنة. هناك أسباب وجيهة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقلقهما. في هذه الأيام، لم يكن الرائد ذلك الرجل المحظوظ الذي كانهُ إلى درجة أنَ ليونورا قد تحسست اليأس الذي يتملكهُ. لسبب واحد، حدث شيء غريب ومأساوي بين هؤلاء الأشخاص الأربعة قبل بضعة أشهر.

كانوا جالسين إلى وقتٍ متأخر في مثل هذه الليلة، حتى انقلبَ مزاجُ السيدة لانغدن الّتي خرجت مسرعة وغادرت إلى منزلها. لم يلاحقها الرّائد في الحين إذ كان يرتشفُ الويسكي في هدوء وطمأنينة.

مضى القليل من الوقت حتى جاء آناكيليتو إلى الغرفة، خادم لانغدن الفلبيني، وهو يصرخُ مذعورًا وعيناه تكادان تنفجران من الذعر وسرعان ما تبعوه دون أن ينبسوا بكلمة. لقد وجدوا السيدة لانغدن فاقدة للوعي وقد قامت بجرح حلمتي صدرها بمجزّ الحديقة.

سأل النقيب: «هل ثمّة من يريدُ منكم القليل من الويسكي؟».

كانَ العطشُ يتملكهم جميعًا ولهذا مضى النقيب باتجاه المطبخ كي يجلب قنّينة من المياه الغازية. كانت لامبالاتهُ العميقة مبنيّة على حقيقة أنَ الأشياء لا يمكنها أن تستمرّ على ما هي عليه. ورغم أنَّ علاقة زوجتهِ بالرّائد لانغدن كانت تشكّلُ كابوسًا بالنسبة إليه، إلّا أنه لم يفكّر في أيّ تغيير محتمل دون خوف.

في الواقع كان عذابه فريدا إلى حدّ ما، لأنّه كان يشعر بالغيرة من زوجته تمامًا كما كان يغار من عشيقها. في العام الماضي، كبر احترامهُ للرّائد، وكانت ثمّة رغبة كبيرة في معرفتهِ. لقد كان يحمل رضا في داخله تجاه خيانات زوجته معه، والآن هو يسكب للرّائد مشروبه ويداه ترتعشان.

قال لانغدن: «أنت تعمل بكدّ ولدون. دعني أخبرك بشيء ما، ما تقوم به لا يستحقّ التعب. يجبُ أن تكونَ صحّتك في المقام الأوّل، فماذا ستفعل لو فقدتها؟ ليونورا هل تريدين أن نلعب الورق مرّة أخرى؟».

وبينما كان النقيب بندرتن يسكب شراب السيدة لانغدن، تجنّب النظر في عينيها. كان يبغضها بشدة حتى أنّه لا يكاد يستطيع تحمّل النظر إليها. جلست في هدوء تامّ أمام الموقدِ وهي تطرزُ. كان وجهها شاحبًا مميتًا وكانت شفتاها منتفختين ومشقّقتين. كانت تحمل عينين سوداوين تتألقان نعومة وكان عمرها في ذلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوقت تسعا وعشرين سنة، أصغر بسنتين من ليونورا. قيل إنها كانت تحملُ صوتًا جميلًا ولم يسمعها أحد قط في الثكنة وهي تغني. عندما نظر النقيب إلى يديها، شعر بالغثيان. كانت يداها نحيلتين إلى حدّ الهزال. بأصابع هشة وطويلة وفروع دقيقة من الأوردة الخضراء، من المرفق حتى الرسغ. كانت شاحبة وهي تداعبُ السَترة الصوفية القرمزية التي تحيكها. في كثير من الأحيان، وبعديد من الطرق الخفية والدقيقة، حاول النقيب إيذاء هذه المرأة. لقد ازدراها في البداية بسبب لا مبالاتها به. أمّا الرائد لانغدن فيحتقرها لأنها أسدت له خدمة وظلّت سرًا، وكشف ذلك الأمر يمكنه أن يسبّب له الحرج.

«هل هذه سترة أخرى لزوجك؟».

أجابت في هدوء: «لا، لا أعرف حتى الجدوى من قيامي بهذا العمل الآن».

شعرت آليسن برغبة مريرة في البكاء. لقد كانت تفكّر في رضيعتها كاترين الّتي ماتت قبل ثلاث سنوات. كانت تعلم أنّ عليها العودة إلى المنزل. ساعدها آناكليتو على الذّهاب إلى فراشها. كانت على درجة من الألم والتوتر حتى أنها لم تدرك لمن كانت تحيك السترة. . كانت تمرّ إلى الحياكة مباشرة إذا احتاج زوجها إلى ذلك. في البداية خاطت له سترات ثمّ قامت بخياطة ثوب لليونورا. خلال الأشهر الأولى لم تصدّق أنّ ازدراءها مسألة مطروحة أو ممكنة، ولكن خاب ظنّها، لتتخلّى في نهاية الأمر عن زوجها، وتقرّبت بشكل يائس من ليونورا. بدأت واحدة من تلك الصداقات الغريبة بين الزوجة التي تعرضت للخيانة والمرأة التي صارت هدفا لزوجها. من خلال هذا التعلق المهووس، والصدمة من النذالة التي كان يتحلى بها، عرفت أنّه لا يستحقها.

الآن يتملكها شعور بالدموع المنسابة من عينيها وهي تشرب الويسكي مؤازرة نفسها رغم أنّ ذلك المشروب كان ممنوعًا عليها بسبب خطورته على قلبها. هيَ ذاتها لا يعجبها مذاقه. فضّلت كثيرًا شرب كوب صغير من بعض المشروبات الكحولية أو القليل من الكرز أو حتى فنجانٍ من القهوة. ولكنّها الآن تشرب الويسكي فقط لأنّه بين يديها ولأنّ الآخرين يشربونه بدورهم ولم يكن ثمّة شيء آخر تقوم به.

صرخ الرّائد فجأة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«ولدون! زوجتك تتحيل! لقد قلبت ورقة لترى ما إذا كانت بحاجة إليها».

«لا، لم أفعل شيئا».

قال النقيب بندرتن: «أنا متفاجئ منك. ألم أخبرك بأن لا تثق في أي امرأة في لعب الورق؟».

لاحظت السيدة لانغدن هذا الاعتداء الودّي الذي عادة ما يظهر في أعين الأشخاص الذين تملكهم المرض منذ وقت طويل وهو مرتبط بالتفكير وبلامبالاة الآخرين. منذ الليلة التي هرعت فيها إلى المنزل وألحقت الأذى بنفسها، شعرت بعار مستمر وبغثيان دائم. كانت متأكدة من أن كلّ من ينظر إليها يفكر فيما أقدمت عليه. ولكن في الواقع، تمّ إبقاء الفضيحة طيّ الكتمان. إلى جانب أولئك الموجودين في الغرفة ما من أحد كان يعلم بالأمر، غير الطبيب والممرّضة، فضلًا عن الخادم الفلبيني الشاب الذي كان مع السيدة لانغدن منذ أن كان في السابعة عشرة من عمره وكان يعشقها. الآن توقّفت عن الحياكة ووضعت أطراف أصابعها على عظام الخدّ. كانت تعلم أنها يجب أن تنهض وتترك الغرفة وتنصرف مع زوجها أيضًا. ولكن سرعان ما تملّكها التعب. فإلى أيّ مكان ستمضي الآن؟ عندما حاولت التفكير في المستقبل، تسلّلت خيالات غريبة إلى عقلها. كانت تعاني من انهيارات عصبية عديدة . لقد وصل الأمر إلى النقطة التي تخشى فيها نفسها بقدر ما كانت تخشى الآخرين. وطوال الوقت، لم تكن قادرة على أن تتخلّص من تلك المشاعر التي تأسرها. لقد شعرت بأن هناك كارثة كبيرة تنتظرها.

استفسرت ليونورا: «ما الأمر آليسن؟ هل أنت جائعة. هناك بعض شرائح الدّجاج في صندوق الدّجاج؟».

خلال الأشهر القليلة الماضية، غالبًا ما خاطبت ليونورا السيدة لانغدن بطريقة غريبة. لقد شغلت فمها بشكل مبالغ فيه كي تشكّل الكلمات وتتحدث بصوت حذر ومعقول يمكن للمرء استخدامه عند التعامل مع شخص أحمق.

«اللحوم البيضاء والظلمة. جيد جدًا. امممم. لا، شكرا جزيلا».

استفسر الزائدُ: «هل أنت متأكدة حبيبتي؟ ألا تريدين أي شيء؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«أنا بخير تمامًا. لكن إن لم يكن لديك مانع فلا تضغط بكعبك هكذا على الأرض. إنه يزعجني».

«أنا أترجَاك».

سحبَ الزائدُ قدميهِ من تحتِ الطَاولة ووضعهما على جانبي كرسيِه. لقد اعتقد بسذاجة أنَ زوجته لا تعرف شيئًا عن علاقته المشبوهة. ولكن رغم ذلك، بدت هذه الفكرة صعبة التحمَل للغاية. الضغوطات النابعة من عدم إدراكهِ للحقيقة، أصابته بالبواسير وعطَلت عمليَة هضمه بشكل ملحوظ. لقد نظرَ إليها ونجح في أن يستكنه حزنها الواضح، والجليَ، لقد كان حزنًا مرضيًا مشوبًا بالطَبيعة الأنثويَة، وخارجًا عن كلَ سيطرة. لقد تذكَرَ الحادثة التي جدَت مباشرة بعدَ زواجهما. كان قد خرجَ مع آليسن في رحلة صيدٍ لطائر السَمان، ولم يسبق لها الخروج إلى مثل هكذا مغامرة. لمحا سربَ طيور صغير، لم يزل إلى الآن، يتذكَرُ سرب الطيور الصغير الذي كان يحلَقُ مع الغروب. بما أنَهُ كانَ يحدَقُ في آليسن تمكَن من صيد طائر سمَان واحدٍ، لقد صمَم أنها هي التي اصطادتهُ. ولكنها عندما أخذت الطَائر من فم كلب الصيد، تغيَر وجهها. لقد كان الطَائر حيا، ولهذا قام بفصلِ رأسهِ بلا مبالاة وقدَمهُ إليها. كانت تمسك بالجسم الصَغير الدَافئ المتكدَر الَذي انهارت بسقوطه، ثم نظرت إلى عينيه البلَوريتين السَوداوين وانفجرت باكية.

عندما كان الزَائد ينزعج من زوجته في تلك الأيام، كان يفكَر غريزيًا، كوسيلة للدَفاع عن النَفس، في الملازم وينشبيك، الَذي كان قائدًا في كتيبة الزَائد الخاصة وصديق آليسن المقرَب. . والآن بما أنَ الحزن الكامن في وجهها قد أربك ضميره قال لتهدئة نفسه:

«هل قلت إنك قضَيت الوقت مع وينشبيك؟».

قالت: «نعم، لقد كنت هناك».

«جيد. كيف وجدته؟».

«وجدتهُ بصحَة جيَدة».

لقد قرَرت فجأة أن تقدَم السَترة إلى الملازم وينشبيك الذي سيعلم كيف يستغلها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكانت ترجو ألا تكون واسعة على كتفيه.

«لا أفهم، ما الذي ترينه مميزا في ذلك الرجل؟ . آليسن، أعلم أنكما تلتقيان كلاكما وتتحدثان عن أشياء كثيرة».

ابتسمت السيدة لانغدن بامتعاض إلى حدّ مَا، لكنها لم تعلّق على الأمر.

باستثناء الكلمات التي كانت تتبادلها مع وينشبيك لم تكن السيدة لانغدن على تواصلٍ مع أيّ كائن في الثكنة. في أدائه للخدمة كانَ يقدّم صورة بائسة. كان على مشارف الخمسين ولم يصل بعد إلى رتبة نقيب. ينام في عينيه خوف عميق من حقيقة كونه على مشارف التقاعد. كان يعيش في أحد المنازل السكنيّة المخصّصة للجنود العزّاب. أغلب الغرف كانت خارج الجهة الغربيّة. كان يقطن في غرفتين مكتظّتين طول الوقت، حيث كان ثمّة بيانو، ورف مليء بألبومات الفونوغراف ومئات من الكتب وقطّ أنغورا كبير وبعض أصص نباتات. لقد نشأ نوع من الزاحف الأخضر على جدران غرفة الجلوس وغالبًا ما كان يتعثّر المرء بزجاجة بيرة فارغة أو فنجان قهوة تمّ وضعه على الأرض. وأخيرًا، عزفَ هذا الملازمُ على الكمان. من غرفته سينبعث صوت ضائع للحن عارٍ من سلسلة ثلاثية أو رباعية، ستجعل الضّباط الشّباب الذين يمرّون على طول الممرّ يحكّون رؤوسهم ويغمزون بعضهم البعض. في تلك اللّحظة من آواخر الليل جاءت السيدة لانغدن لزيارته. . ستعزف مع وينشبيك معزوفات لموزارت أو ستشرب القهوة أو ستأكل الزنجبيل أمام الموقد. إضافة إلى تلك العقبات التي كانت تقف في وجه الملازم، كان فقيرا جدًا. كانَ يحاولُ إرسال اثنين من أبناء أخيه إلى المدرسة. وكان عليه أن يقتصدَ في كلّ شيء كي يحقّق هدفهُ ولهذا تراهُ يرتدي زيًّا واحدًا، حتى أنه كان يحضر اللقاءات المهمة التي تحمل صبغة اجتماعية فقط.

عندما علمت السيدة لانغدن أنه خاطَ ملابسهُ الخاصة بمفردهِ، أخذت على عاتقها أن تخيط له ثيابًا وتغسل ملابسهُ الداخلية مع ملابس زوجها. في بعض الأحيان يسافران معًا بسيارة الزائد لحضور حفلات موسيقية في مدينة تبعد حوالي مائة وخمسين ميلًا. في هذه المناسبات، كانا يأخذان معهما آناكليتو.

قال بندرتن: «سأضعُ كلّ شيء في هذه الكفّ، وإذا فزتُ، ستكون كلّ القطع لي».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمكّنت السيدة بندرتن من أخذ الآس والملك. كل من كان في الغرفة لاحظ ذلك في وقت كان فيه الرائد يضحك.

كما لوحظ أنّ الرّائد كان يربّت على فخذ ليونورا أسفل الطاولة قبل أن يجذب كرسيّه إلى الخلف. نهضت السّيدة لانغدن في الوقت نفسه ووضعت الإبرة في حقيبتها ثم توجّهت قائلة:

«عليَ أن أغادرَ. ولكنّك تستطيع البقاء موريس، لا أريد إفساد الحفلة. تصبحون على خير».

كانت السيدة لانغدن تسير ببطء شديد وبشيء من الاندفاع، وعندما غادرت قالت ليونورا : «أتساءل ما الذي تعانيه الآن».

قالَ الرّائدُ لانغدن في حزنٍ: «لم تخبر بشيء. أعتقدُ أنّهُ عليَ المغادرة. والآن، علينا أن نقوم بجولة أخيرة».

كان الرّائدُ لانغدن مكرهًا على مغادرة الغرفة المرحة، وبينما كانَ يودّعُ عائلة بندرتن وقف لبعض الوقت في الممشى أمام المنزل. حدّقَ في النّجوم وفكّر في الحياة التي تبدو أحيانًا عملًا سيئًا للمرء. تذكّر فجأة الرّضيع الذي مات. لقد تشبّثت آليسن بآناكليتو وظلّت تصرخُ لمدّة ثلاث وثلاثين ساعة مستمرة.

قال لها الطبيب: «أنت لا تحاولين بما فيه الكفاية أن تهدَئي من روعك». لقد كان على الفلبيني الصغير أن يتحمّل أيضًا آلام ركبتيه والعرق المتساقط على وجهه ونحيبهِ مع آليسن.

بعد ذلك، عندما انتهى الأمر، وجدوا أن أصابع الرضيع قد كبرت، وكانت فكرة الرائد أنّ لمسه للرضيعِ سيجعلهُ يرتجف أينما كان. .

لقد مضى عليهم اثنا عشر شهرا. توقّفوا في المنطقة الغربية، كان الرائد يخرج ثم يعود باحثا عن شيء شبيه بطبق بارد من سلطة سمك التونا في صندوق مثلّج بينما الأطباء والممرضات يملؤون المكان. كانَ آناكليتو في الطّابق العلوي إمّا يجلب الحفّاظات كي يوقف تدفّق البراز أو يمسك الرّضيع أثناء سير آليسن سواء في الطابق نفسه أو في الطابق الأرضي وفكّاها مثبّتان. لم يكن يشعر بغير الراحة

عندما ينهي عمله. . على عكس آليسن! أية برودة ومرارة زُرعت داخلها! أي حزن لعين يكمن في الحياة البائسة التي أحاطت بها.

فتح الرائد الباب الأمامي فشاهد آناكليتو نازلًا من الدرج. كان الفلبيني يمشي بفخر ورباطة جأش وهو يرتدي صندلا وسروالا رماديا ناعما وبلوزة من زبرجد. كان وجهه الصغير المسطح أبيض ممتلئا، وكانت عيناه سوداوان متوهجتان. . لم يلاحظ وجود الرائد، لكن عندما وصل إلى أسفل الدرج، رفع ساقه اليمنى ببطء، وقام بثني أصابع قدميه مثل راقصة باليه ثم تلقى صفعة محلقة في الهواء.

«أحمق! كيف حالها؟».

رفع آناكليتو حاجبيه وأغلق جفونه البيضاء الحسَاسة ببطء شديد ثم قال بعبارة فرنسية:

«متعبة جدًا».

قالَ الرّائدُ في غضبٍ، ذلك أنّهُ لا يجيدُ أيّ كلمة فرنسية: «آه، لقد قلتُ كيف حالها؟».

آناكليتو نفسه أخذ دروس اللغة الفرنسية مؤخَرًا ولم يكن يعرف معنى كلمة الجيوب الأنفية. ومع ذلك، أكمل ردَه برباطة جأش مثيرة للإعجاب. «لقد تمَ بهذه المناسبة طهي مرق لذيذ. ».

حسب ساعة الرّائد، أخذ الأمرُ ثمانيًا وثلاثين دقيقة لتجهيز الطَبق. كانَ الفلبيني الصَغير يتردَدُ على المطبخِ بحيويَة حاملًا وعاء مليئًا بالزّهور. كان الرّائد يشاهده وهو يمسك بقبضته. بينما كان آناكليتو يواصل ثرثرته الناعمة، جهَز الرائد مشروبه بنفسه وقام بقلي بيضتين. عندما أعدَ طبق الثماني وثلاثين دقيقة، بينما كانت حبات العرق تنزلق على جبينه وقف آناكليتو وقدماه متقاطعتان ثم هزَ رأسه ببطء.

قال الرّائد: «يا الهي! أنت عصفور نادرٌ. ماذا لو جعلتكَ تنضمَ إلى كتيبتي!».

انكمش الفلبيني. كان من الواضحِ أنه يعتقد أنَ الرّب قد أخطأ خطأ صارخا في خلقِ الجميع باستثنائه هو والسَيدة آليسن وكانَ يرى أنهما شخصان وراء الأنظار.

كانَ يرى أنَ آليسن هي الاستثناء الوحيد الكامن خلف الأضواء والأقزام البشرية والمجتمع. نظرَ إلى الأسفل في اتجاهِ الطبق. فوق الطبق كانت ثمة قطعة قماش من الكتان الأصفر وإبريق ماء ساخن من فخار، صحن من المرق واثنان من مكعبات البويلون. في الزاوية اليمنى كان ثمة خليط صغير من الأرز الصيني وباقة من الأقحوان. بتأنٍ قطفَ آناكليتو ثلاث بتلاتٍ زرقاء ووضعها في منديلٍ أصفر، لم يكن يشعرُ بالنعاس كما بدا حقًا هذا المساء. أحيانًا كان القلق يغشو عينيه، فقد أطلقَ مرارًا على الرائد نظرات دقيقة وسريعة تحملُ تهمًا في داخلها.

قالَ الزائدُ: «سأحملُ الطَبق».

لقد رأى أنهُ لم يتبقَ شيء للأكل، إضافة إلى أنَ ما سيقوم به، سيسرَ زوجته وسيجني بذلك ما يريد.

جلست آليسن مستلقية على فراشها تقرأ كتابًا. وهي تضعُ نظارتيها للقراءة، بدا وجهها مكوّنًا فقط من أنفٍ وعينين، وكانت ثمَة ظلال زرقاء مميتة في زاوية فمها. كانت ترتدي ثوب نوم من الكتان الأبيض وسترة مخملية ورديَة دافئة. كانت الغرفة لا تزال هادئة والنيرانُ تستعرُ في الموقد. غرفةٌ بقليل من الأثاث وذاتُ ستائر حمراء كرزيَة ممَا جعلها تبدو عاديَة جدًا.

Telegram:@mbooks90

شربت آليسن المرَ، أما الزائدُ فقد جلسَ على كرسي بجانب السَرير وقد تملَكهُ الملل، محاولا التَفكير في شيء ليقوله. تقدَم آناكليتو ببطء نحوَ السَرير وهو يهمسُ بنغمة صافية بدت مفعمة بالحزن.

قالَ فجأة: «انظري سيَدة آليسن، هل تشعرين بأنك في صحَة جيدة بما يسمحُ لكِ بالحديث معي؟»

وضعت كأسها جانبًا وخلعت نظارتها.

«لماذا؟ ما الأمر؟».

جلبَ آناكليتو مسندَ قدمين ووضعهُ على جانبِ السَرير ثمَ سحب بحرصٍ من جيبهِ بعض قطع من القماش.

«هذه القطع اشتريتها من أجلنا. والآن.. عليكِ أن تفكَري في العامين اللَذين مضيا،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حين مررنا بجانب نافذة بيك بيك في مدينة نيويورك وأشرت إلى بدلة صغيرة معيّنة من أجلك ».

اختارَ أحدَ القطع وقدَمها إليها.

قالت: «ولكنني لا أرغبُ في بدلة آناكليتو».

«لم تشتري ثيابًا منذ أكثر من سنة. والفستان الأخضر أنيق جدًا ومريحٌ للمفرقين وجاهز ليصير جنديًا ضمن جيش الخلاص .«

عندما نطق آناكليتو بعبارة فرنسية أطلقَ الرّائدُ نظرة كلّها حقد. أثناءَ حديثهما، كان الرّائدُ يبدو كما لو أنّهُ كائن غريب في تلكَ الغرفة الهادئة. كان صوتاهما متشابهين تمامًا وكذلك ما ينطقان به من ألفاظ، حتى أنهما يبدوان كما لو أنهما يردّدان صدى بعضهما البعض في كثير من الانسجام، والتماهي. ليس بينهما من تباين سوى أنّ آناكليتو يثرثر حين يتكلّم، دون توقّف، أمّا صوت آليسن فقد كان معتدلًا وهادئًا.

«كم يبلغُ ثمنه؟» سألتهُ.

«إنّه باهظ الثمن، ولكن لا يمكن للمرء أن يتوقّع الحصول على مثل هذه الجودة في أيّ مكان، بثمن أقل. وعليكِ التفكير في السنوات التي قضيتها هنا».

أخذت آليسن كتابها مرّة أخرى ثم قالت: «سنبحثُ في الأمر».

«باللهِ عليك. اذهب واشتر الفستان». تدخّل الرّائدُ وقد أزعجهُ سماعُ آليسن وهي تتذمّر.

قال آناكليتو: «بما أننا سنقوم بشرائهِ، فيمكننا أن نطلب معطفًا لي».

«حسنًا، سيعودُ لي القرار في ذلكَ».

سكبَ آناكليتو الدواء لآليسن ثمّ ابتسم وهي تشربُ. وضعَ وسادة كهربائية تحت ظهرها وقامَ بتسريحِ شعرها. ولكن عندما همّ بمغادرة الغرفة، لم يستطع تجاوز المرآة التي كانت على طولِ باب الخزانة. توقّف ونظرَ إلى نفسهِ، وأشار إلى إصبعِ قدمهِ ثمّ مشى متبخترًا. وعلى إثر ذلك التفت مرّة أخرى إلى آليسن وبدأ يهمسُ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«ما الذي كنتِ تفعلينه أنتِ والجندي وينشبيك مساء الخميس الفارطِ؟».

قالَ آناكليتو في مرحٍ: «لقد دفعني فقط لأرقصَ الباليه لمدَة دقيقة واحدة. كانت الستائر المخمليّة السَوداء تتوهج مثل شفق شتويّ. ببطءٍ، ألقي الضوءُ بينما كانَت النيرانُ تتراقصُ أمامَ معزوفات سيرجي راخمينوف. في النهاية، سكرَ فرانك فحسب».

حينها شرعَ في الرَقص. لقد زاول الباليه الرَوسي فظلَتِ ذاكرته تحتفظ بأدقّ التَفاصيل وأكثرها بساطة. مشى على طولِ السجادة وهو يتجول في بانتوميم ضعيف إلى أن وقف صامدًا وهو يقلّب قدميه في صندليهما إلى أن وقفَ على أطرافِ أصابع قدميهِ في موقفٍ ساحرٍ. ثمَ دون سابق إنذار دار بخفّة وشرعَ يدورُ بقوّة. كان واضحًا من وجهه المشرق أنَ ذهنه كان في عالمٍ آخر، على المسرح منساقًا مع إيقاعٍ مختلفٍ. آليسن أيضًا كانت تستمتعُ بالمشهدِ.

تنقّل الرَائد ببصره من واحد إلى آخر، في اشمئزاز كبير. آخر رقصة كانت أكثر سخرية من سابقتها. أكملَ آناكليتو الرَقص في وضعٍ غريب ممسكًا كوعهُ في يده مشكّلاً مشهدًا يشي بسخرية لاذعة.

انفجرت آليسن ضاحكة: «برافو! برافو! آناكليتو!». ضحكا سويًا واتكأ الفلبيني الصَغير على الباب في سعادة وقد كانَ مدهوشًا بعض الشَيء. في النهاية استجمعَ أنفاسهُ ثمَ قال: «هل رأيت كيف أنَ كلمتي "برافو وآناكليتو" منسجمان معًا؟»

توقّفت آليسن عن الضَحكِ ثمَ أومأت مخمّنة: «في الواقعِ، لقد لاحظت ذلك مرّات عديدة».

تردّد الفلبيني الضَغير على عتبة الباب. حدّقَ في كلَ الغرفة كي يتأكّد أنه ما من أحدٍ في حاجةٍ إليه. ثمَ نظرَ فجأة إلى وجهها وعيناهُ ذابلتانِ وقالَ بصوتٍ خافتٍ: «نادني إذا احتجتني».

سمعاه وهو ينزلُ الدَرجَ ببطءٍ قبلَ أن ينطَّ بسرعة، ربَما جرَب في خطواتهِ الأخيرة شيئًا ما يحملُ غاية في روحهِ، إذ كانَ قد أحدثَ جلجلة. عندما وقف الرَائدُ أعلى الدَرج كان آناكليتو يستجمعُ نفسهُ برباطة جأش.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استفسرت آليسن بتوتّر: «هل آذى نفسهُ؟».

نظرَ آناكليتو إلى الرّائدُ والدّموعُ الغاضبة تملأ عينيه. ثمّ صرخَ:

«أنا بخير، سيدة آليسن».

انحنى الرّائدُ إلى الأمام ثمّ همسَ بصوتٍ خافتٍ إلى آناكليتو: «لقد تمنّيتُ لو أنّك كسرتَ رقبتك».

ابتسمَ آناكليتو ثمّ هزَّ كتفيهِ ومشى مترنّحًا نحوَ غرفة الأكلِ. عندما عادَ الرّائدُ إلى زوجتهِ، وجدها تقرأ. لم تنظر إليهِ، فقطعَ الغرفة متّجهًا نحوَ غرفتهِ وأوصدَ الباب. كانت غرفتهُ صغيرة، وغير مرتّبة إلى حدّ ما، وكانت الزينة الوحيدة الموجودة مقتصرة على كؤوس كانَ قد فازَ بها في عروض للفروسيّة. على جانبِ سريرِ الرّائدِ توجدُ طاولة عليها كتاب أدبيّ غامض، كانَ مفتوحًا. كانت الصّفحة الّتي توقّف عندها محدّدة بعودِ ثقابٍ. قلّبَ الرّائدُ أربعين صفحة أو ما يقاربُ ذلكَ، ثمّ انهمكَ في قراءةٍ مسائيّة مطوّلة ليضعَ في النّهاية عودَ ثقابٍ آخر على المكان الجديد الّذي توقّف عندهُ.

سحبَ من تحتِ كدسٍ من القمصانِ المكوّمة في الدّرج مجلة تسمّى «العلميّة». جلسَ في وضعٍ مريحٍ على فراشهِ ثمّ شرع في القراءة حولَ الحربِ بين الكواكب. في الصّالة، وضعت زوجتهُ الكتاب على الأرض وقد كانت نصف جالسة. كانَ وجهها متصلّبًا والألمُ يجتاحها وكانت عيناها اللّامعتان تطوفان حولَ حيطان الغرفة. كانت تخطّط لبعضِ الأشياء. من المؤكّدِ أنّها ستطلّق موريس. ولكن كيف ستقوم بهذا الأمر؟ وعلاوة على هذا كلّه، كيف ستتمكّن من العيش مع آناكليتو؟ كانت على الدّوام محتقرة كونها امرأة بلا أطفال، تقبلُ بالنّفقة، وما تبقّى من كرامتها يرتبط أساسا برفضها لهذا الأمر، لا يمكنها أن تعيش على مالهِ بعدَ أن تخلّصت من حياتهِ.

ولكن ما الّذي يمكنها فعلهُ مع آناكليتو؟ لقد درَست اللّاتينية في مدرسة الفتيات سنة قبل زواجها، ولكن أمام الظّرف الصّحيّ الّذي تمرّ بهِ الآن لا يمكنُها العمل في تلك المهنة. ثمّة مكتبة في مكانٍ ما؟ ربّما يكونُ حلًا مناسبًا لآناكليتو في حالِ مرضها. هل يمكنهما أن يتدبّرا قارب صيد؟ لقد تحدّثت مرّة مع صيّادي سمك

الزوبيان على السَاحل. كان يومًا على شاطئ يمتزجُ فيه الأزرقُ بالذَهبي. حدَثوها عن أشياء كثيرة. ستجلسُ معَ آناكليتو كامل اليوم وهما مع شباكهما ولن يكون ثمَة شيء سوى الهواء البارِدِ والمالح. أدار البحرُ والمحيطُ رأس آليسن من على الوسادة. ولكن ما الذي حدثَ!

لقد كانت صدمة، حدث ذلك قبل ثمانية أشهر، حينَ علمت بحقيقة زوجها. لقد قامت مع وينشبيك وآناكليتو برحلة نحوَ المدينة من أجلِ قضاءِ يومين وليلتين لحضور حفلةٍ، ومشاهدة عرض مسرحيَ. ولكن في اليوم الثاني تملَكتها الحمَةُ فقرَرت أن تعودَ إلى البيت. في وقت متأخَر من المساء، أنزلها آناكليتو من السَيارة أمام البيت ثمَ مضى بالسيَارة نحوَ المرأب. توقَفت في الممشى قليلا وهي تنظرُ إلى بعضِ المصابيح. كانت اللَيلة معتمة تقريبًا وكان ثمَة ضوء في غرفةِ زوجها. كانَ الباب الأماميَ موصدا، وبينما كانت تقف هناك رأت معطف ليونورا على الصَندوق في الصَالة. تساءلت في داخلها، كم هو غريب أن يغلق الباب الأماميَ لعائلة بندرتن. لاحظت بعدَ ذلك أنهم كانوا يخلطون المشروبات الكحولية في المطبخ بينما يقوم موريس بالاستحمام. مضت قليلًا وسرعان ما اصطدمت بخطى آناكليتو قبل أن تدخل المنزل، كانَ وجههُ على درجة كبيرة من الذَعر! همسَ أنَ عليهما العودة إلى المدينة وقطع عشرة أميال لأنه نسي شيئًا ما. وعندما حثت الخطى قليلًا أمسكها من كتفها وقالَ مذعورًا: «يا سيَدة آليسن، يجب ألاَ تذهبي إلى هناكَ الآن».

مع تلكَ الصَدمة التي تلقَتها، مضت مع آناكليتو في السَيارة ومضيا مرَة أخرى. كانت الإهانة الَتي في منزلها، شيئا لا يمكنها ابتلاعهُ. حينَ خفَضا السَرعة أمام نقطة أمنية، كانَ ثمَة جنديَ لا يعرفهما، يقومُ بأداء واجبهِ ولهذا أوقف سيارتهما. نظر إلى السَيارة الصَغيرة كما لو أنهما كانا يخفيان مسدَسا. نظر إلى آناكليتو الذي كان يرتدي سترة برتقالية لامعة وكان على وشك أن ينفجر بالبكاء.

لن تنسى وجه ذلك الجندي، في ذلك الوقت لم تكن تحمل سببا للتحدث باسم زوجها. انتظر ذلك الجندي الشاب وهو يحدَق دون أن ينبس بكلمة. لاحقا، رأت الجندي نفسه في الإسطبلات عندما ذهبت كي تجلب موريس بالسَيارة. كان وجهه شبيها بوجه بول غوغان. نظر إلى وجهيهما، ربما لدقيقة ثم أتى الضابط.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مضت مع آناكليتو في السيارة لمدة ثلاث ساعات وسط البرد دون أن يتحدثا. بينما كانت الشمس تشرق، بدت تلك المخططات التي رسمتها ليلا عندما كانت مريضة ومتعبة، نوعًا من الجنون. في المساء كانت قد انصرفت مسرعة من بيت بندرتن نحو منزلها حيث فعلت شيئا مروعا. لقد رأت مقصات الحديقة على الحائط. كانت تتضرعُ من الحزنِ واليأس ولهذا حاولت أن تطعن نفسها وتنتحرَ. لكنَ المقصات كانت حادة للغاية. لقد مضى القليل من الوقت لتفقد التحكم في نفسها، هي نفسها لا تعرفُ كيفَ حدث ذلك. ارتجفت آليسن وأخفت وجهها بين يديها. سمعت زوجها يفتح بابه ويضع حذاءه على الأرض فأطفأت المصباح بسرعة. كان الرائد قد أنهى قراءة مجلته وأخفاها مرة أخرى في الدرج. وفي النهاية أخذ مشروبًا واستلقى على الفراش وهو ينظر إلى الظلمة. ما الذي ذكّر ليونورا بذلك الاجتماع؟ لقد حدث ذلك قبلَ موت الرضيع، عندما أمضت آليسن مدة اثني عشر شهرًا من القسوة في المستشفى وهي تجوب المنزل كأنها شبح، ثم قابل ليونورا في الإسطبلات في الأسبوع الأول من قدومه إلى هذا المنصب، وعرضت عليه القيام بجولة. غادرا في جولة بالفرس وحين عادا وربطا الحصانين ليخلدا إلى الراحة، رأت بعضَ ثمار العلّيق وقالت إنها ترغب في جني البعض لتجهيز الفطائر للعشاء. آهِ أيها الرب! عندما كانا يتسلّقان الأشجار ويملآن قبعته بالعلّيق... لقد حدث ذلك لأول مرة. عند الساعة التاسعة صباحا وبعد ساعتين على لقائهما! منذ ذلك الوقت وحتى الآن يجدُ صعوبة في تصديق الأمر. ولكن ما الذي كانَ يعتريه في ذلك الوقت؟ آه، نعم، لقد كان الأمر أشبه بأن تكون في عملية مناورات، ترتجفُ طوال ليلة باردة وممطرة في خيمة تقطرُ، ثمَ تنهضُ مع الفجرِ فتجدُ أنَ المطر قد انتهت والشمس أشرقت من جديد، ثمَ تشاهدُ نظرات الجنودِ الهادئة وهم يحضَرون القهوة على النيران المتصاعدة من المعسكر والشرر يرتفع نحو السماء البيضاء الصافية. إنه الشعور الأمثلُ في العالم!

ضحك الرائدُ بوحشية ورأسهُ تحت الملاءة ثمَ شرعَ يشخر مباشرة. عند الساعة الواحدة والنصف، تملك القلق النقيب بندرتن في مكتبهِ. كانَ يشتغلُ على دراسة علمية تقدَم فيها مع مرور اللَيل. شربَ كمية لا بأس بها من النبيذ والشاي ودخَن بعضَ السجائر. في النهاية توقف عن العملِ، والآن هو يمشي دون توقّف، فيصعدُ حينا ويهبط حينا آخر. ثمة أوقات لا يحتاج فيها المرء أكثر من شخص يقعُ في

حبه، نقطة محورية تجمعُ مشاعرهُ الممزقة. هناكَ أوقاتٌ أيضا، لا تهدأ فيها خيبات الأمل ومخاوف الحياة لديه كما لو أنها حيوانات منوية، تتملكه حينها رغبة في الإفراج عن هذه الخيبات والمخاوف وتركها تنجرف مع مشاعر الكراهية. . ولكنّ النقيب الحزين لا يملكُ أحدا كي يكرهه ولهذا تملّكهُ البؤس طيلة الشهور السابقة.

آليسن لانغدن، ذات الأنف الطّويل، برفقة الفلبيني التعيس سيكونان محلّ الكراهية. ولكنّهُ لا يمكنهُ أن يكرهَ آليسن، إذ لم تعطهِ الفرصة للقيام بذلك. لقد أغضبته بلا نهاية ليكون تحت سطوتها. كانت هي الوحيدة في العالم التي عرفت بعض أوجه القصور المحزنة في طبيعته. كان النقيب بندرتن على وشكِ أن يكون لصًا. كان يقاوم باستمرار الرّغبة في أخذ الأشياء التي يراها في منازل الآخرين. ولكن، سبق ونال الضعف منه في مرتين فقط. عندما كان طفلاً في السابعة من عمره، أصبح مفتونًا بزميله في المدرسة الّذي ضربه ذات مرّة لأنّه سرق من منضدة التجميل الخاصة بعمّته شعرا قديم الطراز قُدم لها كهدية حب. وهنا في الثكنةِ، بعدَ مرور سبعِ سنواتٍ، يجدُ النقيب نفسهُ مرّة أخرى خاضعًا.

في حفل عشاء أقامته عروس شابّة كان مفتونًا بقطعة من الفضّة إلى درجةِ أنّهُ حملها في جيبهِ إلى منزله. كانت ملعقة حلوى صغيرة مختلفة وجميلة ونفيسة كانَ قد تعقّبها بدقّة. كان النقيب مسحورا جدًا بها. لم يستطع في النهاية أن يقاوم نفسهُ. بعد سلسلة من التلاعب الماهر انتهت الغنيمة إلى جيبه، أدركَ أن آليسن، التي كانت بجانبه، قد شاهدت عمليّة السرقة. لقد نظرت إليه بحيرة شديدة. إلى اليوم لا يمكنهُ العودةُ إلى تلكَ الفترة دونَ أن تتملّكهُ قشعريرة. بعدَما نظرت طويلا إليهِ في ذعرِ انفجرت ضاحكة. ضحكت بقوّة إلى درجة أنّ أنفاسها انحبست ما دفعَ شخصًا إلى ضربها على ظهرها. وفي النّهاية غادرت الطّاولة. منذ تلكَ اللّحظة، كلّما نظر إليها أجابتهُ بابتسامةٍ خادعةٍ، وكلّما تمّت استضافتهما في مكانٍ، ظلّت تراقبهُ بحذرٍ. الملعقة الآن في خزانتهِ، ملفوفة في منديل حريري.

ولكن رغمَ ذلك، لا يمكنهُ أن يكرهَ آليسن. ولا يمكنهُ أن يكرهَ زوجتهُ. لقد أثارت ليونورا جنونهُ. لكن حتى في أعنف نوبات الغيرة لم يستطع أن يكرهها أكثر ممّا كان يكره قطة أو حصانًا أو شبل نمر. تجوّل القبطان في مكتبهِ وسرعان ما ركلَ الباب المغلق ركلة حزينة. إذا قررت آليسن أخيرًا أن تفكّر في تطليق موريس،

فكيف ستسيرُ الأمورُ؟ لم يستطع تحمّل هذه الفرضية، فقد كان محزنًا للغاية أن يفكر في أنه سيظلّ وحيدًا.

بدا النقيب كما لو أنه سمعَ شيئًا مَا، ولهذا توقّف لبرهة. كان المنزلُ هادئًا. بيْن الأمرْ أنّ النقيب قد كانَ ضعيفًا. عندما يكونُ بمفردهِ يتملّكهُ ذعرٌ لا حدود له. والآن وهو يجلس في هذه الغرفة الهادئة، يبدو أنّ عصبيّته وارتباكهُ لم يكونا ناجمين عن قوى داخل نفسه أو عن الآخرين. ثمة أشياء يمكنهُ أن يتحسّسها من مسافات بعيدة إلى حدٍ ما نتيجةَ ظروف خارجية تتربص به على الدّوام. بخوفٍ حدّق النقيب في كامل الغرفة ثمّ توجّه إلى مكتبه وفتحَ الباب. كانت ليونورا نائمة على السّجادة أمام الموقد في غرفة الجلوس. نظرَ النقيب إليها وضحك من نفسهِ. قلبها على جانبها وأعطاها ركلة صغيرة حادّة على الأرداف. كانت تتلفّظ بأشياء غريبة حولَ ديك رومي ولكنّها لم تستيقظ. انحنى النقيب، إلى الأسفل، تلمّسها قليلا وكلّمها مقتربا من وجهها لتنهض فجأة عند قدميه. ومثل طفل يتمّ إيقاظهُ كي يُحمل إلى المرحاض في آخر الليل، كان لليونورا موهبة أن تظلّ نائمة حتى لو كانت واقفة. بينما كانَ النقيب يقودها عبر الدّرجِ، كانت عيناها مغلقتين وهي لا تزال تتلفّظ بأشياء عن الدّيك الرّومي.

قالَ النقيب: «سأكون ملعونًا لو خلعتُ لكِ ملابسكِ».

ولكنّ ليونورا نامت حيث تركها على السّرير، وبعدما شاهدها لبضع دقائق ضحكَ مرّة أخرى وخلع لها ملابسها. لم يُلبسها ملابس النوم، ذلك أن المكتبَ كلّهُ كان في فوضى ولا يمكنهُ أن يعثر على رداء لها. عندما كانت في الفراش، ذهبَ النقيب إلى لوحة معلّقة على الحائط، كانت قد أبهرته لسنوات. كانت صورة فتاة في السّابعة عشرة من عمرها وفي أسفلها كتبت عبارة: «إلى ليونورا مع غابات من الحب، من بوستي». كانت هذه التّحفة تزيّن جدران غرفة نوم ليونورا لأكثر من عقد من الزّمن وقد جابت معها العالم. عندما سئلت عن بوستي، قالت باقتضاب إنه زميل دراسة، سمعت أنه غرق قبل سنوات مضت. وحين يتمّ التركيز على هذا الموضوع، يظهر أنها لا تعرف حتى اسمه الحقيقي. وربّما يعود ذلك ببساطة إلى أنّ الصّورة معلّقة منذ اثنتي عشرة سنة. نظر النقيب مرّة أخرى إلى زوجته الّتي خلدت إلى النّوم. كانت دافئة بطبعها وتمّ دفع الملاءة على نهديها العاريين. نامت وهي تبتسم

وتراءى إلى النقيب أنها تأكل الآن الديك الرّومي الذي جهّزته في حلمها. كان النقيب يستخدم السيكوباربيتال، ونتيجة لعادته الوقوف طويلا، لم يكن تعاطي كبسولة واحدة مجديًا. لقد اعتبر أنّ عمله الشاق في مدرسة المشاة يجعل من قضائه الليل صاحيًا أمرا ثقيلا عليه. . مع تعاطيه لذلك المخدّر، يكون نومه يسيرا ومشبعًا بالأحلام. اللّيلة قرّر أن يتعاطى ثلاث جرعات، رغم أنه يعلم أنّ ذلك سوف يغرقه في نوم سيدوم لستّ ساعات أو سبع. تناول النقيب جرعات الدّواء ثمّ استلقى في العتمة. أعطاهُ المخدّرُ أحاسيس متفرّدة وبهيجة. كانَ الأمرُ أشبه بعصفور يضيء على صدرهِ، ينظرُ ناحيتهُ بتوهّج، بعينيه الذّهبيتين ثم يلفّهُ خلسة بأجنحته المعتمة.

انتظر الجنديّ ويليامز في الخارج قرابة السّاعتين حتى انطفأت الأضواء. تلاشت النّجوم قليلًا ومال لونُ السّماء إلى البنفسجي العميق. ولكن مازالَ "الجبّارُ" لامعًا و"الدّب الأكبر" يتألق. مشى الجنديّ إلى خلف المنزل وتفقّد الباب في هدوء. لقد كان مغلقًا من الدّاخل تمامًا كما توقّع. ومع ذلك، كان الباب منفرجا بعض الشّيء، وعندما أدخل الجنديّ شفرة سكّينه في الكراك، كان قادرًا على رفع مزلاج الخطاف. ذلك الباب الخلفي لم يعد مغلقا. بمجرّد دخول المنزل، انتظر الجنديّ للحظة. كان كلّ شيء مظلمًا ولم يكن هناك صوت. حدّق حوله بعينيه الغامضتين حتى اعتاد على الظّلام. كانت خارطة المنزل مألوفة لديه، قاعة الجلوس والدّرج يقسمان المنزل، على جانبهِ تقعُ غرفة الجلوس الكبيرة وغرفة الخدم. على الجانب الآخر غرفة الأكل، ومكتبة النقيب والمطبخ. فوق الدّرج على اليمين ثمّة غرفة مزدوجة وحجرة صغيرة. على اليسار ثمّة غرفتا نوم بحجم متوسّط. خطا الجنديّ على الدّرج بحذر، وكان مفروشا بسجّادة. مشى برباطة جأشٍ. كان باب السّيدة مفتوحًا، وعندما بلغهُ لم يتردّد، بخفّة قطّ قفز إلى الدّاخل. ملأ ضوء القمر الأخضر الغامض الغرفة. لقد نامت زوجة النقيب عندما غادرها زوجها. انساب شعرها الرّطب على الوسادة وكان صدرها نصف عارٍ. كان هناك حرير أصفر على السّرير وقارورة عطر مفتوحة تسبح في الهواء برائحتها. ببطء شديد، انحنى الجنديّ إلى جانب السرير وانحنى على زوجة القبطان. أنار القمر وجهيهما وكان قريبا منها ليتحسّس دفئها وحتى أنفاسها. في أعين الجنود، يولدُ في البداية فضول، ولكن مع مرور اللّحظات، تولدُ في وجوههم الثقيلة نظرة ملؤها السعادة. شعر الجنديّ الشاب بمتعة شديدة

الغرابة لم يعرفها من قبل. وقفَ بغتة، ثمَ انحنى على زوجة القبطان لبعض الوقت. وضعَ يده على عتبة النافذة ليثبّت نفسه وجلس ببطء شديد بجانب السّرير. كان يوازن نفسه على قدميه بظهر مستقيم، ويداه القويتان مستريحتان على ركبتيه. كانت عيناه مستديرتين كأزرار من عنبرٍ وناصيةُ شعرهِ التي تنسابُ على جبينهِ كانت تلامسُ الحصيرةَ.

قبل هذه الحادثة، نادرة هي المناسبات التي انتصبت فيها السعادة أمام وجه الجندي وليامز. لم يرهُ أحدٌ من الجنود، ولو حدث وقُبِض عليه، سيتمّ نقله إلى المحكمة العسكريَة. في الواقعِ، وسط كل حالات التشتت التي كانت تحيط بالجندي، لم يكن بمفرده في الغابة. حين ينصرف من العمل مع الظَهيرة، يأخذ معه حصانًا من الإسطبل. يمتطي الجواد لخمسة أميال من الثكنة نحو بقعة معزولة، بعيدة عن كلِّ المسالكِ ومن الصَعب بلوغها. هنا في الغابة، كانت ثمة شقَة، مكان رحب، مغطّى بالحشائش البرونزية المصقولة. في هذا المكان المعزول يطلقُ الجندي الحصان ويتركه يرعى بحرَية. يخلعُ ملابسهُ ثمّ يستلقي على صخرة كبيرة وسط الحقل. حتى في الأيّام الباردة، يمكنهُ الاستلقاء عاريًا ليترك أشعة الشمس تنتشر على لحمه. . أحيانا، عندما يكونُ عاريًا، يصعدُ على الصَخرة ثمّ يرتمي على ظهر الحصان.

جلسَ الجندي وليامز القرفصاء في غرفة ليونورا حتى الساعات الأولى من الفجر. لم يتحرَك، ولم يصدر صوتًا، ولم يبعد عينيه عن زوجة النقيب. وعندما اقترب النهار، نهضَ ببطء وارتكز على النافذة ووقف في حذرٍ. نزل الدرج ثمّ أغلق خلفهُ الباب بأناة . كانت السَماء شاحبة بضوئها الأزرق، أمّا فينوس فقد كان يتلاشى.

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

الفصل الثالث

عاشت آليسن ليلة رعب. لم تنم طيلة اللّيل حتى بزوغ الشمس وقد تردّد صوت البوق موقظًا الجنود. خلال تلك الساعات الطويلة، كانت هناك الكثير من الأفكار الغريبة التي أزعجتها. لقد كانت متيقّنة تمامًا عند بزوغ الفجر من أنها شاهدت شخصًا يغادرُ منزل بندرتن ويمضي نحو الغابة. بعدَ نهوضها من النوم بوقت قصير، أيقظتها جلبة كبيرة. على عجل وضعت فوطة الحمّام، ونزلت إلى الطّابق السفلي، فوجدت نفسها تواجه مشهدًا مثيرًا للصدمة وللسخرية في آن.. كان زوجها يطاردُ آناكليتو حول الطّاولة ممسكًا بحذاء في يدهِ. كان يرتدي جواربهُ وزيَهُ الرّسمي من أجلِ حضور مناوبة الحراسة ليوم السبت. خبط سيفه على فخذه وهو يركض. توقّفا كلاهما عندما رأياها. ثمّ سارعَ آناكليتو من أجل الاختباء خلف ظهرها.

«لقد قامَ بذلك لغاية في نفسه ! لقد تأخرت . ستمائة رجل في انتظاري الآن. انظري فقط إلى ما سبّبهُ لي!».

كان مشهد الحذاءِ في الواقع مشهدًا مؤسفًا. بدا الأمر كما لو أنه قد فُرك بالدّقيق والماء. وبّخَ آناكليتو ثمّ وقف خلفهُ وهو يقومُ بتنظيفهِ. لقد بكى بشدّة، ولكنّها وجدت القوّة كي لا تآزرهُ. عندما توقّف، أشار آناكليتو إلى شيء ما لهُ علاقة بالهروب بعيدًا من المنزل وفتح متجر ملابس في الكيبيك. حملت الحذاء الملمّع إلى زوجها دون أن تنبس بكلمة ولكن بنظرة تحمل في طيّاتها اهتماما به. ولكن عندما شعرت بألمٍ في قلبها، عادت أدراجها نحو فراشها وهي تحمل كتابها.

قدّم إليها آناكليتو قهوتها ثمّ انصرف إلى سوق الثّكنة. لاحقا في الصّباح، عندما أكملت قراءة كتابها، وبينما كانت تنظرُ عبر النّافذة في يومٍ خريفيّ مشمس، جاءَ إلى غرفتها مرّة أخرى. كانَ مبتهجًا وقد نسي ما جناهُ من توبيخٍ بسبب الحذاء. أوقدَ نارًا متأجّجة ثمّ فتح بهدوء درج المكتب العلويّ كي يتطفّل قليلًا على مسائل لا تعنيه. أخرج ولّاعة سجائر صغيرة من الكريستال. لقد افتتنَ بها فأهدتهُ إيّاها قبل سنوات. مازالَ يحتفظُ بها مع أشيائها، ولهذا كان ذلك سببًا وجيهًا كي يفتحَ الدّرج متى شاء. طلب منها أن يقترض نظّارتيها ونظر طويلًا إلى وشاح الكتّان على خزانة الأدراج. ثم التقطَ بإبهامه وسبّابته، شيئًا غير مرئيّ وحملهُ بعناية إلى سلّة المهملات. كان يتحدّث إلى نفسه، لكنّها لم تهتمّ بثرثرته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما الّذي سيحلُ بآناكليتو حين تموت؟ كانَ ذلك هو السؤال الذي يؤرّقها في تلك اللّحظة. لقد وعدها موريس ألا يتركهُ ولكن ما جدوى ذلك الوعد إذا تزوّج موريس مرّة أخرى. تذكّرت تلك الفترة، قبل سبع سنوات في الفليبين حين جاء آناكليتو لأوّل مرّة إلى منزلها. كم كانَ كائنًا غريبًا وصغيرًا وحزينًا! كانَ محلَ سخرية من قبل بقية الأطفال لأنّهُ يلازمُ قدميها طوال اليوم. إذا نظر إليه شخص ما ينفجرُ باكيًا ويخبطُ بيديه. كان في السّابعة عشرة من عمره، ولكنهُ كانَ مريضًا وذكيًا، لهُ وجه يسكنهُ الخوف ولكن تورقُ منهُ تعبيرة لطفل في العاشرة من عمرهِ. عندما كانوا يجهّزون أنفسهم للعودةِ، ترجّاها أن تأخذهُ معها فحقّقت مبتغاه. كلاهما، هي وآناكليتو، في وسعهما أن يجوبا العالم معًا، ولكن ما الذي سيفعلهُ إذا رحلت؟

سألتهُ فجأة: «آناكليتو، هل أنت سعيد؟».

لم يكن الفلبيني الصغير منزعجًا من أيّ سؤال حميم يأتي فجأة.

أجابها دونَ أدنى لحظة تفكير: «لماذا؟ بالطبع سأكون سعيدًا عندما تكونين سعيدة».

كانت الشمس مشعّة رفقة الضوء المنبعث من الموقد في الغرفة. كان هناك طيف راقصٌ على أحد الجدران تستمتعُ بمشاهدتهِ، وهي تنصتُ إلى محادثة آناكليو الناعمة.

«ما لاحظتهُ أنَ هنالك صعوبة ما داخلهم تحول دون اكتشافي. ولكنّني منذ شروعي في العملِ معكم شعرتُ أنهم يدركون قيمتي. أعتقدُ أنَ الجميع يعلمُ ذلك باستثناء سيرجي راخمينوف».

كان يتكلّم محاولا أن يفتحَ محادثة مليئة بنوع من الغموض والألغاز بينما كانت تحاول أن تتفهم ما كان يرمي إليه. التفتت إليهِ ثمّ استفسرت.

«ما الّذي تتحدّثُ عنهُ؟».

قال: «سيّدة آليسن، هل تعلمين أنَ السيّد راخمينوف يعلمُ أنَ الكرسي شيء يستعملهُ المرء للجلوس، أمّا السّاعة فتبين الوقت؟ وإذا حدث وخلعت حذائي ثمّ رفعته في وجهي وقلت: «ما هذا يا سيّد راخمينوف؟ سيجيبُ مثل كلّ شخص،

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لماذا آناكليتو؟ هذا حذاء». أنا شخصيًا أجدُ صعوبة في الإجابة عن هذا الأمر».

كان حفل راخمينوف هو آخر حفل موسيقي سمعاه، وبالتالي من وجهة نظر آناكليتو كان الأفضل. لم تكن مهتمة بقاعات الحفلات المزدحمة وكانت تفضل أن تنفق الأموال على أسطوانات الفونوغراف، لكن كان من الجيد الابتعاد عن الثكنة من حين لآخر، وكانت هذه الرحلات مصدرَ فرحٍ في حياة آناكليتو.

قال آناكليتو: «هل تعتقدين أنني لو دعمتك بوسادة أخرى ستشعرين بالرَاحة أكثر؟».

في عشاء تلك اللَيلة التي كانت فيها الحفلة! أوغل آناكليتو خلفها في مطعم الفندق وهو يرتدي رداءهُ البرتقالي. عندما حلَ دورهُ كي يطلبَ طعامًا، فتحَ قائمة الطَعام أمام وجهه ثمَ أغلق عينيه كليًا. وكي يفاجئ النَادل طلب ما يريد متحدثًا بالفرنسية. رغمَ أنها رغبت في الانفجار ضاحكة إلا أنها تحكَمت في نفسها وترجمت طلبه بجاذبية مثلى.

بسبب فرنسيَته المحدودة كانَ العشاء غريبا إلى حدَ ما، فلقد طلب طبقهُ من درسٍ تعلَمهُ بعنوانِ «Le gardin Potager» فكانَ طبقًا مؤلَفًا فقط من الكرنب والفاصوليا الخضراء والجزر. ولهذا طلبت لهُ بنفسها طبقًا من الدَجاج، فتحَ آناكليتو عينيه لفترة كافية لينظرَ إليها نظرة امتنان عميقة. تجمع النَدَل بزيهم الأبيض حول هذه الظَاهرة مثل الذباب، وكان آناكليتو مترفعًا وبلغَ بهِ الأمر أن رفض ملامسة الفتات.

قالت: «لنفترض أنَنا ننصتُ إلى بعض الموسيقى، لننصت إلى يوهانس برامس».

ردَ آناكليتو: «عازف مشهور».

وضعَ الأسطوانة الأولى ثمَ جلسَ على الكرسيِ أمام الموقدِ. لكنَ الافتتاحيَة التي تمثلت في محاورة جميلة بين آلة البيانو والأوتار انتهت مع وقع قرع على الباب. تحدَث آناكليتو مع شخصٍ ما على الباب وأغلق الباب مرَة أخرى ثمَ أوقف الفونوغراف.

همسَ وهو يرفعُ حاجبيه: «سيَدة بندرتن».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قالت ليونورا عندما دخلت الغرفة: «أنا أعلمُ أنهُ في وسعي أن أقرع الباب في الأسفل إلى يوم القيامة ولن تتمكّني من سماعي وأنت تنصتين إلى الموسيقى».

جلست على حافة السرير كما لو أنها سقطت سقوطا حتى أنه شغر بانكسار إحدى الصفائح. . تذكّرت لاحقا أنّ آليسن لم تكن بخير، حاولت ليونورا أن تتمارض، إذ كان المرض من عاداتها.

«هل تعتقدين أنهُ في وسعكِ الحضور اللّيلة؟».

«حضور ماذا؟».

ماذا بحق الرّ ب آليسن! حضور حفلتي! كنتُ أعمل طيلة الأيام الثلاثة الماضية مثلَ زنجيّ وكلّ شيء حاضر الآن. أنا لا أقوم بحفلة كهذه إلا مرّتين في السنة».

قالت آليسن: «بالطّبع، لقد فقدت عقلي فقط للحظات».

قالت ليونورا وقد تورّد وجهها فجأة منتظرة إجابتها: «أنصتي! أرجو فقط أن تلقي نظرة على مطبخي الآن. ستكون الطّريقة هكذا. لقد وضعتُ كلّ الأوراق في غرفة الأكل وجميع الحاضرين سيقومون بطحنها ومساعدة بعضهم البعض. لديّ زوجان من لحم خنزير فرجينيا، ديك رومي كبير، دجاجة مقلية، شرائح لحم خنزير باردة، الكثير من الضّلوع الرّقيقة المشوية، وكلّ أنواع المقبلات الصّغيرة كالبصل المخلّل والزّيتون والفجل. وأملك كعكًا ساخنًا وبعض البسكويت المطليّ بالجبن. وضعتُ المشروب في الزّاوية، لمن يريدون شرب الكحول، لديّ نضدٌ فيهِ أربعة كوارتات من وسكي البوربون وخمس زجاجات من وسكي الراي وخمس زجاجات من الويسكي الأسكتلندي. وهناك عازف سيأتي من المدينة كي يعزف على الأكورديون».

استفسرت آليسن وهي تشعر بالقليل من الغثيان: «ولكن من على الأرض سيأكل كلّ هذا الطّعام؟».

«كلّ من سيكون في المنزل. لقد اتّصلت بعائلة زوجة أولد شوغر كي يأتوا جميعا».

كان أولد شوغر هو الاسم الذي أطلقتهُ ليونورا على القائد العام للجيش. كانت

تتعاملُ مع الجنرال، مثلما كانت تتعاملُ مع جميعِ الرِجال، بنوع من الحنو والرِقة، والجنرال مثلَ بقيةِ الضُباط، كانَ قد أكلَ من يدها.

كانت زوجة الجنرال بدينة، تصرخ ولا تبالي بشيء.

قالت ليونورا: «شيء واحدٌ جئتُ من أجلهِ هذا الصَباح، لقد جئتُ كي أرى إذا كان يمكنُ أن يأتي آناكليتو كي يساعدنا في تقديم الحلويَات».

أجابت آليسن: «سيكون سعيدا بمساعدتك».

آناكليتو الَذي كان واقفًا على عتبة الباب، لم يكن يبدو أنَهُ سعيد بذلك. ألقى نظرة عابرة على آليسن ثمَ ذهب إلى الطَابق السفلي لتفقَد ما حدث لمأدبة الغداء.

«شقيقا سوزي يقدَمان المساعدةَ في المطبخ. يا إلهي! كيف لذلك الجمع أن يأكل! لم أر مثيلا لهما من قبل».

«بالمناسبة. هل سوزي متزوَجةٌ؟»

«يا إلهي، لا! هي لا تملكُ أيَ شيء تفعلهُ مع الرِجال. لقد ألقي عليها القبض عندما كانت في الرَابعة عشرة من عمرها ولم تنس تلكَ اللَحظة مطلقًا. لكن لماذا؟».

« تساءلتُ فقط لأنَي متأكدة تقريبًا من أنَني رأيت شخصًا يدخلُ إلى منزلك من الخلف في وقت متأخَر من الليلة الماضية ثمَ خرجَ مرَة أخرى مع الفجر».

«أنتِ فقط تتخيَلين».

ردَت ليونورا في هدوء وقد اعتبرت أنَ آليسن قد فقدت عقلها تقريبا إلى درجة أنَها لم تعد تبالي بأيَ ملاحظة بسيطة تطلقها.

«ربَما».

كانت ليونورا تشعرُ بالملِ ومستعدَة للذهاب إلى المنزل. ومع ذلك، فقد اعتقدت أنَ زيارة جيرانها يجب أن تستمرَ لمدَة ساعة على الأقل، ولهذا ظلَت هناك تلبية لنداء الواجبِ. تنهَدت وقد بدا عليها المرض. كانت فكرتها هكذا، عندما لا يكونُ المرءُ متحمَسا لفكرة من الأفكار التي تدور حول الطَعام والرِياضة، يكون موضوع المحادثة اللبق في غرفة المرضى عبارة عن سرد لأمراض أخرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مثل كلِ الأشخاص الأغبياء، كان لديها ميل إلى الأمور المريعة، الَتي يمكن أن تنغمس فيها أو تتخلَص منها بمشيئتها. اقتصرت ذخيرتها من المآسي في معظمها على الحوادث الرِياضية العنيفة.

«هل حدَثتكِ عن فتاة الثلاثين الَتي رافقتنا في رحلة صيد الثعالبِ لمساعدتنا، حين كسرَ عنقها؟».

قالت آليسن ساخطة: «نعم ليونورا. لقد حدَثتني عن كلِ التفاصيل المريعة خمس مرَات».

«هل يزعجكِ ذلك؟».

«نعم، وبحدَة».

لم تكن مضطربة لهذا السَبب مطلقا. بهدوء أشعلت سيجارة.

«امممم. لا تدعي أيَ شخص يعلَمك كيف تقومين بصيد الثَعالب. أنا أعلمُ كيف يتمَ الأمر. أملك طريقتين في الصَيد. أنصتي آليسن!».

تكلَمت بطريقة مبالغ فيها وبصوت محفَز كما لو كانت تكلَمُ طفلًا صغيرًا.

«هل تعلمين كيف تصيدين الأبسوم؟».

أومأت آليسن ببطء ثمَ قامت بتقويم لحافها.

«توقعين بها».

«توقعين بها من أرجلها. تلك هي طريقة صيد الثَعلب. يملكُ عمَي الآن منزلًا في الجبل، تعودَت أن أزورهُ مع إخوتي. حينَ تغيبُ الشَمسُ، يخرجُ حوالي ستَة منَا رفقة كلابنا مع برودة المساء. أحيانًا نمضي الليل في الجبال خلف ثعلب. يا إلهي، لا أعرفُ كيف أحدَثك عن الأمر..».

سيطرت ليونورا على مشاعرها ولكنَها لم تجد الكلمات كي تعبَر عنها.

«نتناولُ بعدَ ذلك مشروبًا أخيرًا مع السَادسة صباحًا ثمَ نجلس لتناول فطور الصَباح. يا إلهي! قال الجميعُ إنَ عمَي كائن عجيب. لقد قامَ بتجهيز طاولة جيَدة. بعدَ كلِ رحلة صيد نعودُ إلى الطَاولة محمَلين بالبطرخِ ولحم الخنزير المشويَ

والدَجاج المقليَ وشيئا من البسكويت له مقاس يدك».

عندما غادرت ليونورا في النهاية، لم تكن تعلم، ما إذا كان عليها الضحكُ أم البكاء، في النهاية ضحكت وبكت قليلًا بشكل هستيريٍ.

صعدَ آناكليتو نحوها وبحذر ضرب سفح السَرير حيث كانت ليونورا جالسة.

عندما توقَفت عن الضَحك قالت فجأة: «آناكليتو، سأطلِقُ الرَائد. سأخبرهُ بقراري اللَيلة».

انطلاقًا من ملامح آناكليتو، لم يكن في وسعها أن تقرَر ما إذا كانت تلك مفاجأة أم لا. انتظر لبعض الوقت ثمَ قال: «وإلى أين سنذهبُ بعدَ ذلكَ يا سيدة آليسن؟».

مرَت في ذهنها مشاهدُ طويلة من المخطَطات جعلتها تمضي اللَيل في تعلَم اللاتينية في معهد المدينة، أو في صيد الزوبيان، أو أن تُكره آناكليتو على العمل بينما تجلسُ هي في المنزل كي تمارس هوايتها في الخياطة.

لكنَها اكتفت بالقول: «لم أقرِر بعد».

قالَ آناكليتو متأمَلًا: «أنا أتساءلُ. كيف ستكون ردَة فعل بندرتن؟».

«لست بحاجة إلى معرفة ذلك، لأنَ ذلك ليس من شأننا».

كان وجهُ آناكليتو الصَغير أسمرَ ووقورًا. وقف ويداه على سفحِ السَرير. شعر أنَ هناكَ أسئلة أخرى عليه أن يطرحها عليها فنظرت إليه وانتظرت. في النهاية سألها وكلَهُ أمل: «هل تعتقدين أنَهُ يمكننا العيش في فندق؟».

في فترة ما بعد الظُهر، نزل النقيب بندرتن إلى الإسطبلات ليقوم بنزهته المعتادة. كان الجنديَ وليامز ما يزال في الخدمة، على الرَغم من أنه سيتحرَر في ذلك اليوم عند السَاعة الرَابعة. عندما تكلَم النقيب، لم ينظر إلى الجنديَ الشاب. كانَ صوته ضاريا وكلَهُ غرور.

«أسرج حصان السَيدة بندرتن فايربيرد».

توقَف الجنديَ وليامز متجمَدا في مكانه، وهو يحدَقُ في وجه النقيب الأبيض والغاضب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال النقيب: «لقد أمرك النقيب. أسرج فايربيرد. حصان السَيدة بندرتن».

لم يكن هذا الأمر عاديًا، لقد امتطى النقيب بندرتن الحصان الملقَب بفايربيرد ثلاث مرّات فقط وفي كلّ مرّة كانت زوجتهُ معهُ. النقيب نفسهُ لا يملكُ حصانًا. عندما كانَ ينتظرُ، كانَ يفركُ قفّازيهِ بعنفٍ. عندما خرجَ فايربيرد، لم يكن راضيًا. كان الجنديّ وليامز قد وضع سرج السَيدة بندرتن وهو من نوع إنجليزي، بينما فضل النقيب سرج مكليلان. عندما تمَّ تغيير السرج، نظرَ النقيب إلى عيني الحصان المكوّرتين والأرجوانيّتين ورأى أنّ هناك انعكاسا لصورة سائلة تفضح وجهه المذعور. .

أمسكَ الجندي وليامز اللّجام فامتطى النقيب الحصان. وجلسَ في توتّر، فكّاهُ متصلّبان وركبتاهُ تتمسّكان بالسَرج في يأسٍ.

لا يزال الجندي يقف صامتاً ويده على اللّجام.

بعد مرور لحظات قال النقيب:

«حسنا، حسنًا أيّها الجنديّ، أنت ترى أنّني امتطيتُ الحصان، لنمض الآن!».

مضى الجندي وليامز بضع خطوات إلى الخلف. تماسك النقيب وضغط على الحصان بفخذيه . لم يحدث شيء. لم يخبّ الحصان ولم يجمح مثلما تعوّد أن يفعل كلّ صباح مع السيّدة بندرتن، ولكنّه انتظر الإشارة كي يتحرّك. عندما انتبهَ النقيب إلى ذلك، أسرعَ بفرحة شرّيرة ومفاجئة: «آهٍ، لقد كسرت روحهُ تمامًا مثلما اعتقدت».

أخذ النقيب يداعب الحصان ويضربه ضربا خفيفا بسوطه القصير. . ثم انطلقا عبر ممر الخيول في خبب.

كان المساء هادئًا ومشمسًا. وكان الهواء يهبُّ برائحة الصّنوبر اللّذيذة ورائحة الأوراق المتعفّنة. لا غيوم في السّماء الزّرقاء الواسعة، ولا حتى غيمة واحدة. الحصان الّذي لم يتم تفقّدهُ في ذلك اليوم، بدت عليهِ علامات الجنون وهو يخبّ بحرّية مطلقة. فايربيرد، مثل جميع الخيول، كانَ يصعبُ التّحكم فيه حين يخرجُ من المرعى. كان النقيب يعي ذلك، ممّا يجعل ما صدر عنه شديد الغرابة. لقد ركض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحصان بقوة ولكن فجأة، عندما فقد السيطرة على زمام الأمر، ارتجّ النقيب من على الحصان. لقد فقد تحكّمهُ في الحصان وتعامل معهُ بحذة ممّا جعل فايربيرد يفقدُ توازنهُ، وهذا ما جعلهُ ينحرفُ. ولكن لاحقا، توقّف قليلا في هدوء، متفاجئا وفطنا في آن. وبدت على النقيب علامات الرّضا.

تكرّرت العملية مرّتين. أعطى النقيب فايربيرد رأسه لفترة كافية لإثارة فرحة الحرّية ثم فحصه دون سابق إنذار.

هذا النوع من السّلوك لم يكن جديدا على النقيب.

في المرّة الثالثة توقّف الحصان كالعادة، ولكن حدث شيء أزعجَ النقيب ممّا جعل إحساسهُ بالرّضا ينقشعُ دفعة واحدة. عندما كانا واقفين في صمت بمفردهما في الممرّ، أدار الحصان رأسهُ ونظرَ إلى وجهِ النقيب. ثمّ أنزلَ الحصان رأسهُ على الأرض.

شعرَ النقيب فجأة أنّهُ بصدد السّقوط، ليس السّقوط فقط بل على وشكِ الموت. كان النقيب يخاف من الأحصنة: كان يمتطيها فقط من باب الضّرورة، أو كطريقة أخرى من بين عديد الطرق لتعذيب نفسه. كان لديه سرج مريح يعودُ لزوجته وقامَ بتغييرهِ بسرج ماكليلان الأخرق الكبير حتّى يستخدمه في حالة الطّوارئ. يجلسُ الآن متصلّبا في مكانهِ محاولا التشبث بالسّرج واللّجام والرّكاب في آن. ولكن فجأة غمرهُ الخوف واستسلم كلّيّا فجذبَ قدمهُ من الرّكاب(1) ورفعَ يديهِ إلى وجههِ ونظرَ حولهُ كي يرى المكان الذي سيسقطُ فيه. استمرّ الخوف فقط للحظات. عندما تيقّن النقيب أنّهُ لن يسقط في النّهاية، غمرهُ شعور كبير بالشّجاعة. فمضى الحصان يركضُ أكثر فأكثر. كانَ الممرُّ يؤدّي إلى منحدرٍ وإلى جانبهِ تقعُ غابة. مع اقترابهما من المنحدر، كانا قد ابتعدا أميالا عن المعسكر.

بعيدًا في المدى، كوّنت غابة الصّنوبر الخضراء خطّا أمام سماء الخريف السّاطعة. خطّ أربكَ النقيب فولدت في داخلهِ فكرةُ أن يتوقّف قليلا ويتحكّم في اللّجام. ولكن في تلكَ اللّحظة، حدث شيء لم يكن متوقّعا، شيء كاد أن يكلّف النقيب حياتهُ. كان على ظهرِ الحصان عندما بلغا قمّة التلّة. عند هذه النقطة، ودون سابق إنذار وبسرعة الشيطان، انحرف الحصان إلى اليسار وسقط على جانب السّدّ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانَ النقيب مذعورا، إذ لم يعد جالسًا حينها على السَرج.

ارتمى على عنق الحصان أمَا قدماه فكانتا تتدلّيان خارج الرِكاب. بطريقة ما تمكّن من الصَمود، بيدٍ متشبّثة بعرف الفرس وأخرى باللّجام، كانَ قادرا على العودة إلى السَرج. ولكن كان ذلكَ هو كل ما يمكنهُ فعلهُ.

كان الحصان يركضُ بسرعة مذهلة إلى درجة أنّهُ كان يشعرُ بالدَوار عندما فتحَ عينيه. لم يكن في وسعهِ أن يعثر على السَرج كي يتمكّن من التَحكم في اللّجام. وتيقّن فجأة أنّهُ حتى لو تمكّنَ من ذلكَ فقدرهُ لن يستجيب لهُ حينها إذ لم تكن لديهِ القُوة كي يوقف حصانهُ. كلّ عضلة، كل عصب في جسده كان يهدف إلى غرض واحد، إلى الصَمود. مع سرعة فايربيرد الكبيرة، وجدَ نفسهُ وهو يحلّق مع فرسهِ فوقَ مساحة كبيرة مفتوحة من المرج الأخضر تفصل بين الوادي والغابة. كان العشب مظللًا باللّون البرونزي واللّون الأحمر تحت الشَمس. ثمّ شعر النقيب فجأة بعتمة خضراء تحوّمُ فوقهما وكان يعلم أنّهما دخلا الغابة عبر ممرّ ضيّق. حتى عندما غادر الحصان المساحة المفتوحة، بدا أنه يواجهُ صعوبة في التَحكم في سرعته، بينما كان النقيب منحنيا. شوكة من شجرة فتحت خدّه الأيسر. لم يشعر النقيب بأيّ ألم، ولكنّهُ رأى بوضوح الدَم القرمزيّ السّاخن وهو يقطرُ على ذراعه. انحنى إلى الأمام كي يضعَ وجههُ على شعرِ الحصانِ الصّلب. تشبّثَ بلا جدوى في عرف الحصان وباللجّام وفي قربوس السَرج ولم يتجرّأ على رفعِ رأسهِ بسبب الخوف من الاصطدام بغصن شجرة.

كانت ثمّة ثلاث كلمات في قلبِ النقيب، تسرّبت عبر شفاهه المرتعشة دون أن ينطق بها، إذ لم يكن لديهِ ما يكفي من الأنفاس حتى ليهمس: «أنا ضائعٌ الآن».

سرعانَ ما تخلّى عن فكرة الحياة ليعيش تلك اللحظة. اندفعَ فرحٌ عظيم في داخلهِ مثلما اندفع الحصان. فرحٌ لم يعشهُ النقيب من قبل. كانت عيناهُ شفّافتينِ، كما لو أنّهُ انغمسَ في موجة من الهذيان وهو يرى عالما لم يرهُ من قبل. كانَ العالمُ متلوّنا، في كلّ نظرة يطلقها، يراهُ وهو يتشكّل في عقله بوضوح حارق.

على الأرضِ، كانت ثمّة وردة بيضاء مبهرة، تلوح وسط الأعشاب المتكوّمة حولها. كانَ هنالك مخروط صنوبري شائك، طائرٌ يحلّقُ في السَماء الزّرقاء العاصفة، أشعّة ناريّة تنعكسُ على حزن أخضر رآهُ النقيب لأوّل مرّة في حياته. كان على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعي بالهواء النقي الصافي وقد شعر بالمعجزة التي تكمن في جسدهِ المنقبض، وقلبهِ المرهق، معجزة دمهِ، عضلاته، أعصابه وعظامه. لم يعد النقيب يشعرُ بأيّ رعبٍ الآن، لقد ارتفعَ إلى درجة نادرة من النشوة، والتماهي، حيثُ يشعرُ الصوفي أنّ الأرض هو، وهو الأرضُ. تشبّث بالحصان، كانت ثمّة ابتسامة انتشاء على فمهِ الدامي.

لا يعرفُ النقيب كم من الوقت استمرّت هذه الرّحلة المجنونة. لقد علمَ في النّهاية أنّه والحصان، قد خرجا من الغابة، والآن هما يعدوانِ في مساحة مفتوحة. بدا أنّهُ رأى رجلا يستلقي على صخرة تحتَ أشعّة الشمس وبجانبهِ حصان يرعى. لم يفاجئهُ هذا المشهدُ بل قام بنسيانهِ على الفور. الحقيقة الوحيدة الّتي كان يعيشها النقيب، كانَ مفادها أنّ الحصان قد هدأ من خطوهِ معَ دخولهِ الغابة مرّة أخرى.

في عذابات لحظة الفزعِ تلكَ، تساءلَ النقيب: «متى سينتهي كلّ هذا؟».

تباطأ الحصان وقد استنفدَ قوّتهُ، ليتوقّف في النّهاية. صعدَ النقيب فوق السّرجِ وحدّق من حولهِ. عندما ضرب الحصان بسوطهِ على وجهه، تعثّرا قليلا. وسرعان ما أوقفهُ النقيب. كانَ يرتعدُ ولهذا نزل إلى الأسفل. ببطءٍ ربط الحصان إلى شجرة . قطعَ بما تبقّى من قوّتهِ، غصنا من شجرة وشرعَ يضربُ الحصان بوحشية. كانَ يتنفّسُ بقوّة، كانت سترتهُ السّوداء مجعّدة من العرق. استمرّ النقيب في ضرب الحصان. وفي النّهاية تجمّد الحصان في مكانهِ وأطلقَ تنهيدة مكسورة. نهرٌ من العرقِ وقف كستارة أمام قشّ الصنوبر المتناثر تحتهُ. تدلّى رأسهُ إلى أسفل . رمى النقيب السّوط، كانَ ملطّخا بالدّماء، والطّفح الجلديّ النّاجم عن فرك شعر الحصان الخشن قد ترامى من وجهه إلى رقبته. . لم يكن من الممكن إيقافُ غضبهِ، كانَ بالكاد يستطيعُ الوقوف بسبب التّعب. سقطَ إلى الأسفل وارتمى ورأسهُ بين يديهِ. في الغابة، بدا النقيب شبيها بدمية مكسورة ومرميّة. كان يبكي بصوت عالٍ.

فقد النقيب الوعي للحظات. وحين عاد إلى وعيه، ارتسمت في عينيه رؤى الماضي. عاد إلى سنوات مضت، حدّق فيها كمن يحدّقُ قي صورة ترتعدُ في قاعِ بئر. تذكّر طفولتهُ. كان قد ترعرعَ عندَ خمسِ عمّات خادمات: كنّ يضحكن دائما ويخرجن في نزهات ورحلات سريعة ويقمن بتنظيم حفلات عشاء، يستدعين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيها خادمات أخريات. ومع ذلك، كنّ يستعملن الطفل الصغير كحمّالٍ يحملُ عنهنّ الصلبان الثقيلة. لم يعرف النقيب الحبّ الحقيقيّ مطلقًا. تدفّقت عواطف عمّاته عليه بفعاليّة كبيرة ولم يكن يعرف أنّه قام بتسديدها بالعملة المزيّفة نفسها. . كان النقيب جنوبيًا ولم تكن عمّاتهُ يسمحن لهُ بالبقاء مع أمّهِ، ذلكَ أنّ سلالتها تعودُ إلى الهوغونوتيين الذين غادروا فرنسا في القرن السّابع عشرة وعاشوا في هاييتي حتّى اندلاع الثّورة العظيمة، ليصبحوا بعد ذلك مزارعين في جورجيا قبل الحرب الأهليّة. كان ثمّة تاريخٌ وحشيّ رائعٌ، فقر مدمّر وعائلة متكبّرة. الجيل الحاضر أيضا، لم يختلف عن ذلكَ كثيرا، فقد كان الصّديق الأوّل للنقيب شرطيًا من مدينة ناشفيل. كان متكبّرا ولم يكن فخورا بصحبتهِ ولهذا احتفظ النقيب بسجلّ ضخم من ماضيه الضّائع.

فقد النقيب قدميهِ وسط قشّ الصنوبر وهو يعوي بصوتٍ تردّد صداهُ في أرجاءِ الغابة. سرعان ما ارتمى على الأرض في صمت وهدوء. الشّعور الغريب الذي بقي فيه لبعض الوقت اتخذ شكلاً مفاجئاً. كان متأكّدا من أنّ شخصا ما كان بالقرب منهُ. انقلب على ظهرهِ وهو يتألّمُ.

في البداية لم يصدّق النقيب ما رآه. على بعد ياردات منه، استلقى شابّ على شجرة البلوط، نظر النقيب إلى وجهِ الشّاب الذي كان يكرههُ. كانَ عاريا كلّيا. كان جسدهُ النّحيل يلمعُ أمام الشّمس. حدّق في النقيب بغموض ولامبالاة كما لو كان ينظر إلى بعض الحشرات الّتي لم يسبق له أن رأى مثيلا لها من قبل. أصيب النقيب بالشّلل بسبب المفاجأة. حاول التّحدث، ولكن فقط حشرجة جافة تسرّبت من حلقه. وبينما كان يشاهده، حوّل الجندي نظرته إلى الحصان. كان فايربيرد لم يزل ملطّخا بالدّم وكان ثمّة رضوض على جانبيه.

استلقى النقيب بين الجندي والحصان. الرّجل العاري، لم يكلّف نفسه عناء المشي حول جسده الممدود. غادر مكانه من الشّجرة ووقفَ عند رأس النقيب. ألقى النقيب نظرة سريعة على قدمِ الجنديّ الشاب، كانت قدما صغيرة ونحيفة. قامَ الجندي بفكّ وثاق الحصان ثمّ قام بمداعبته. ودون إلقاء نظرة على النقيب، قاد الحصان إلى الغابة الكثيفة.

يئس النقيب من إيجاد فرصة للنّهوض أو النّطق ولو بكلمة واحدة. في البداية،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان في وسعهِ فقط أن يتحسس كمَ الذعر الذي في داخلهِ. كانَ يستلقي تحتَ الظلَ المنعكس من جسد الشَاب. نبسَ بشيء غامضٍ لكنهُ لم يجد صدى. نمت في داخلهِ نوبة من الغضب. استشعر كراهية كبيرة في داخلهِ تجاه الجنديَ الذي كان منتشيا من إطلاقِ صراحِ فايربيرد. كلَ الإهانات، الحسد، والمخاوف من حياته تجمعت في نوبة الغضب تلك.

تعثَر النقيب، ولم يكن يعلمُ إلى أين تحملهُ خطاهُ عبر الغابة المظلمة.

لم يكن يعلمُ أين هو، وطول المسافة التي تفصلهُ عن الثكنة. احتشدت في عقله عشرات المخطَطات الماكرة الَتي يمكن أن تجعل الجنديَ يعاني. علمَ أنَ الكراهية شيء مثقدٌ كالحبَ، ستلازمهُ فيما تبقَى من أيَامِ حياته. بعد أن مشى لفترة طويلة، عندما كان الليل في بدايتهِ، وجد نفسه في طريق مألوفة لديه.

ستبدأ حفلة عائلة بندرتن مع السَابعة. بعدَ مضيَ نصف ساعة، كانت الغرفة الأماميَة مكتظَة. استقبلت ليونورا، الَتي كانت ترتدي ثوبا مخمليا فاخرا، ضيوفها بمفردها. عند الرَد على استفسارات حول غياب النقيب، كانت تجيب بأنَ الشيطان قد أخذهُ، لم تكن تعلم أنَه ربما هرب من المنزل. الكلَ ضحك وهم يردَدون إجابتها. رأوا عصا يضعها على كتفيهِ ودفاترهُ ملفوفة في مناديل حمراء. كان يخطَط للذهاب إلى المدينة بعد عودتهِ.

كانت الطَاولةُ الطويلة في غرفة الأكل باذخة وممتلئة بالكامل، أمَا الهواء فقد كان ثقيلًا مع رائحة اللَحم المشويَ والضَلوع الرَقيقة والويسكي. من غرفة الجلوس ينبعثُ صوت الأكورديون، وهو يرتفعُ شيئًا فشيئًا مصدرا بعض الأغاني الزَائفة. ربما كانت البوفية الجانبيَة هي أكثر الأماكن إثارة. كانَ آناكليتو يغسلُ الكؤوس ويأخذُ وقتهُ في ذلك. نظرَ إلى الملازمَ وينتشبيك وهو يقفُ وحيدًا بالقرب من الباب الأماميَ. كانَ منشغلا لمدَة خمس عشرة دقيقة بالتَحديق في كلَ حبَة كرز أو أناناس، ثمَ ترك اثنا عشر ضابطًا ينتظرون لتقديم المشروبات للملازم القديم. كان هنالك أحاديث حيوية حتى أنَه كان من المستحيل متابعة أيَ فكرة من أحدهم. دار حديث عن الاعتمادات الَتي خصَصتها الحكومة للجيش، كما تحدَثوا حول عمليَة انتحار جدَت مؤخَرًا. خلف ذلك الضَجيج، تسرَبت نظراتُ حذرةٌ نحو الزائد لانغدن.

كانت ليونورا في قمَة الفرح. كانت تحملُ فكرة مبتذلة تجاهَ الجميع وعلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رأسهم الكولونيل المشرف على مخازن الثكنة، ثمّ قدّمت مشروبًا إلى العازف القرويّ الشّاب الذي كان يعزفُ على آلة الأكورديون.

قالت: «يا إلهي، أيّة موهبة يحملها هذا الفتى؟ كيف يمكنهُ أن يعزفَ أيّ شيء تطلبهُ منه!».

وافقها الرّائدُ لانغدن الرّأي وهو ينظرُ إلى الحاضرين من حولهِ: «نعم، إنّهُ رائعٌ جدًا. أنت تعلمين أنّ زوجتي تعشقُ معزوفات باخ الكلاسيكية، ولكن بالنسبة إليّ، تبدو هذه الموسيقى أشبهُ ما تكون بابتلاع حفنة من الدّيدان. فليعزف لنا موسيقى الأرامل السّعيدات. أنا أعشقُ ذلكَ الطابع من الموسيقى. إنّها موسيقى عذبة!».

مع دخول الجنرال، هدأت تلكَ الموسيقى من حجم الضّوضاء. كانت ليونورا مستمتعة بالحفلة إلى درجة أنّها تفطّنت إلى غياب زوجها فقط بعد السّاعة الثّامنة وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى الضّيوف الّذين كانوا قلقين لغياب مضيفهم. كان ثمّة شعور بحدوث أمر طارئ أو أنّ ثمّة فضيحة لم تكن متوقّعة بصدد الحلول. كان المنزل مليئا بالبشر إلى درجة أن من كان يريدُ الانتقال من غرفة إلى أخرى، كان يتوجّبُ عليه القيام بخطّة للتّنقّل.

وفي الوقت نفسه، انتظر النقيب بندرتن عند ممشى الخيول وهو يمسكُ بمصباح رفقة الرقيب المسؤول عن الإسطبلات. لقد بلغَ المكان مع حلول الظّلام، وكانت القصّة تتمثل في كون الحصان قد رماهُ وهرب. كانا يأملان أن يعرف فايربيرد طريق العودة. غسلَ النقيب وجههُ الدّامي الجريح ثمّ مضى حيثُ تلقّى ثلاث غرزٍ في خدّه. لم يتمكن من العودة إلى المنزل. لم يتجرّأ على العودة حتّى قدوم الحصان إلى الإسطبل، ولكنّ السبب الحقيقي في عدم عودتهِ إلى المنزلِ، هو انتظارهُ للرّجلِ الذي يكرههُ.

كانت الليلة صافية وهادئة. مع التّاسعة ليلًا سمعا من بعيد، صدى لحوافر أحصنة عائدة ببطء. مع مرور الوقت، صار يمكنُ رؤية خيالات الجنديّ وليامز مع حصانين. كان الجندي يمسكُ بلجامهما. اقترب من مصباحِ النقيب وحدّقَ بنظرة غريبة طويلة في وجهه ممّا قذفَ شعورًا بالصدمة المفاجئة لدى الرّقيب. لم يكن يعلمُ ما الذي عليهِ فعلهُ، ولهذا غادرَ ليتركَ النقيب يتصرّف مع هذه الحادثة. كان النقيب صامتًا، حدقتاه لا تستقرّان وشفتاه ترتعشان. .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مضى الجندي وليامز إلى الإسطبل فتبعهُ النقيب. أطعم الجنديّ الشاب الحصانين وقام بتدليكهما. لم يتكلّم مطلقًا، أمّا النقيب فقد وقف خارج الإسطبل وهو ينظرُ إليه. نظر إلى يدي الجنديّ الماهرتين والرائعتين وإلى رقبتهِ المستديرة. كان النقيب مغمورًا مسحورًا بفكرةِ أنّهُ كان في عملية مصارعة مع الجندي وليامز، كلاهما كانا عاريان، يتعانقُ جسداهما ويتقاتلان في معركة حتّى الموت. غمرَ الوهنُ عضلات النقيب وكان بالكاد يمكنهُ النهوض. كانت عيناهُ ترتجفان تحت جفنيه كشعلات زرقاء. أكمل الجنديّ عملهُ في هدوءٍ ثمّ غادر الإسطبل. تبعهُ النقيب ثمّ توقّف كي يشاهدهُ وهو يغرقُ في الظّلمة. لم ينطقا ولو بحرف واحد.

لم يتذكّر النقيب الحفلة التي في منزله إلاّ عندما صعدَ السّيارة.

لم يدخل آناكليتو إلى المنزل في تلك الليلة. وقفَ على عتبة منزلِ آليسن. بدا ساذجًا وعبوسًا. حين يمرّ الحضور من أمامهِ، كانَ يعلّقُ بفلسفة: «آهٍ من هذا العالم! لقد اختنق من البشريّة».

رأت آليسن في عينيهِ شيئًا مَا. لقد مضى إلى دورة المياهِ الخاصة بها، قام بلفّ كمّي قميصهِ ليغسل يديه.

«هل جاء الملازم وينتشبيك لرؤيتك؟».

«نعم، لقد زارني وظلّ معي لبعض الوقت».

كانَ الملازمُ يائسا. لقد أرسلتهُ إلى الطّابقِ السّفلي كي يأتي بزجاجة نبيذ. بعد أن شربا معا، جلسَ على السّرير وهو يضعُ رقعة شطرنجٍ على ركبتيه ثمّ لعبا الورق. لم تدرك حتّى بعد فوات الأوان أنّه كان من غير المنطقيّ أن تقترح اللّعبة.

قالت: «لقد علم للتوّ أن النتائج الطّبية ليست في صالحهِ، ولهذا سيتلقّى أوراق تقاعدهُ في القريب العاجل».

أضاف آناكليتو: «إنّهُ أمرٌ مثير للشّفقة! كنتُ سأكونُ سعيدًا لو كنتُ مكانهُ وحملتُ عنهُ هذا الوزرَ».

كان الطّبيبُ قد قدّم لها وصفة جديدة في تلك الظّهيرة. عبر مرآةِ دورة المياهِ، لمحت آناكليتو وهو يتفحّصُ الزّجاجة بحذرٍ ويشمّها. من خلال إيماءتهِ، بدا أنّهُ لم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يستحسن طعمها. ولكنهُ ابتسمَ عندما عادَ إلى الغرفة.

«ألم تحضري حفلة كهذهِ من قبل؟ يا لهُ من جمعٍ عظيم!».

«أي جمعٍ آناكليتو».

«على أيّ حال، لقد تأخر بندرتن ساعتين على الحفلة وعندما عاد، اعتقدتُ أنَّ أسدًا قد أكلَ نصفهُ. لقد رماهُ الحصانُ بينَ أشجارِ العلّيق ثمَّ هرب . لم أرَ وجهًا بتلك البشاعة كوجههِ».

«هل تعرَّضَ إلى كسرٍ على مستوى العظام؟».

أجابَ آناكليتو: «لقد نظرَ إلي كما لو أنَّهُ تعرَّض إلى كسرٍ على مستوى الظَهرِ. رأيتهُ وهوَ يحملُ جسده بثقةٍ ويصعدُ بهِ الدَرج. كانَ يرتدي ملابسهُ التي تعوَّد أن يرتديها كلَ مساء وهو يحاولُ أن يرمي عن نفسهِ شبح الحزن. لقد غادرَ الجميع الآن، باستثناء الرَائدِ والكولونيل ذي اللَون الأحمرِ، الذي بدت زوجتهُ امرأة عاهرة».

بعد أنَ كرَر آناكليتو كلمة عاهرة مرّات عديدة، نبّهته في هدوءٍ إلى خطورة تلكَ الكلمة. ولكنَّ الأخير اهتزَّ والتفت إليها فجأة. كانَ وجههُ متورّدا. قالَ بعصبية: «أنا أكرهُ البشرَ. في الحفلة، نطقَ شخصٌ بهذه النَكتة».

«ما الَذي تعنيه؟».

«لن أخبركِ بما أعنيه».

«حسنًا، إنسَ الأمر. اذهب الآن إلى فراشك واخلد إلى النَوم».

كانت آليسن قلقة إزاء غضبِ آناكليتو. بدا لها أنَّها تكرهُ البشرَ هي أيضًا. كلَ الأشخاص الَذين عرفتهم في السَنوات الماضية، كانوا أشخاصًا سيئين، باستثناء وينتشبيك وبالطَبع آناكليتو والصَغيرةُ كاثرين. كانَ موريس لانغدن غبيًا وذا قلب قاسٍ، أمَا ليونورا فلم تكن شيئا سوى حيوانٍ بشريّ، أمَا بندرتن اللَص، فقد كانَ شخصًا فاسدًا وميؤوسًا منه.

أيَةُ عصابةٍ وجدت نفسها تتخبَطُ فيها! هي ذاتها تكرهُ نفسها.

لولا التَسويف القاسي ولو لا كبرياؤها الذي آل إلى مزقٍ لغادرت المنزلَ الليلة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع آناكليتو. أدارت وجهها إلى النّافذة وحدّقت في اللّيل. هبّت الرّياحُ فاهتزّت السّتائرُ. أطفأت المصباحَ ووقفت تتأمّلُ ما يحدثُ في الخارجِ عبر النّافذةِ. كانت كوكبة الجبّارِ النّجميّة صافية وتسطعُ في ظلمةِ اللّيل. تتحرّكُ قممُ الأشجارِ مع الرّياحِ كأمواجٍ من ظلام. رأت في تلكَ اللّحظةِ، رجلًا يقفُ على حافّة الغابة أمام منزل بندرتن. الرّجلُ نفسهُ كانَ مختبئا بالأشجارِ ولكنّ ظلّهُ كانَ مرتسمًا بوضوحٍ على العشبِ. لم تكن قادرة على التّعرف على ملامحِ ذلكَ الشّخص ولكنّها كانت متيقّنة من وجودِ رجلٍ يتربّصُ هناكَ. حدّقت فيهِ لعشرِ دقائقَ، لعشرين دقيقة، لنصفِ ساعةٍ. لم يتحرّك. أحدث المشهدُ صدمةً في داخلها، وبدا لها أنّ الرّجلَ قد فقد عقلهُ. أغلقت عينيها قليلًا وعندما نظرت إلى الخارجِ رأت أنّ الظّلَّ قد تلاشى.

طرقَ زوجها البابَ، لم يتلقَ إجابةً فأدار مقبضَ البابِ بحذرٍ وحدّق في الدّاخلِ. سألها بصوتٍ عالٍ قادر على إيقاظِ أيّ شخص.

«حبيبتي، هل أنتِ نائمة؟».

أجابت بمرارة: «نعم. أنا غارقة في نومٍ عميق».

كانَ الرّائدُ مرتبكًا، ولا يعلمُ ما إذا كان عليهِ الدخولُ إلى الغرفةِ أم غلقُ البابِ.

قالت ليونورا: «غدًا سأخبركَ بشيء ما. يجبُ أن يكون لديكَ استعدادٌ لتقبّلِ الأمر، ولهذا عليكَ أن تستعدّ».

قالَ الرّائدُ في حزنٍ: «لا أملكُ فكرة عمّا تتحدّثين. هل أسأتُ إليك بأمر ما؟» جلسَ مع نفسهِ للحظاتٍ ثمّ عادَ إليها قبلَ أن يغلقَ الباب في حذرٍ: «إذا كانَ الأمرُ متعلّقًا بالمال فأنا مفلسٌ. لقد راهنتُ بحصاني على مباراة كرة قدمٍ وخسرتُ».

في منتصفِ الليلة الماضية، وجدت نفسها بمفردها مرّة أخرى. كانت السّاعات، من منتصف اللّيل إلى الفجرِ، مروّعة على الدّوام. حتّى إذا صادفَ وأخبرت موريس أنّها لم تنم مطلقًا، فلن يصدّقها بالطّبع ولن يصدّقَ أصلًا أنّها كانت مريضة. لقد أصبحَ يشعرُ بالقلق فقط قبلَ أربعِ سنوات، عندما ساءت صحّتها. كانت تعاني من الدبيلة وتعمّقَ المرضُ بتعرّضها إلى مشاكلَ في الكبدِ ليصل بها الأمر بعدَ ذلك إلى مشاكل في مستوى القلب ممّا أثار استياءه، لينتهي الأمرُ بعدمِ تصديقها. رأى أنّ في تصرّفها فيه نوع من التّمارض هروبا من أداء واجباتها تجاههُ. سمعتهُ وهو يمشي

بالقربِ من الغرفةِ منغمسًا في محادثة طويلة مع نفسهِ. أنارت مصباحَ غرفتها وانهمكت في القراءةِ.

مع الثانية صباحًا، انتابتها فكرةٌ مفاجئة، مفادها أنها ستموت في تلك اللَيلة. جلست مدعومة بالوسائدِ على السَرير، كانت امرأة شابَة، لها في الآن نفسه وجهُ حادٌ وطاعنٌ في السن. كانت تنظر بلا توقَف من زاوية إلى أخرى. حرَكت رأسها وهي تطلقُ إيماءاتٍ غريبةً كما لو أنَ شيئا ما يخنقها. بدت الغرفة الفارغة مليئة بالأصواتِ المتوتَرة. قطراتُ الماء تتساقطُ في المرحاضِ. الساعةُ على رفُ الموقدِ. ساعةُ بندول قديمة رُسمَت على زجاجها بجعة بيضاء وأخرى ذهبيَة، تتكتكُ بصوتٍ أجشَ. ولكنَ الصَوتَ الثالث من هذه الأصوات التي تزعجها، كانَ صوت قلبها النابضِ. كان ثمَة اضطرابٌ كبير يسري داخلها. بدا قلبها مقبَبًا، وأشبه ما يكون بخطى شخص يركض ويقفز ثم يضجَ بعنف . مع حركات بطيئة وحذرة، فتحت درج الطاولة التي بجانب السرير وأخرجت موادَ الحياكة. حدَثت نفسها: «عليَ أن أفكَر في شيء مفرحٍ».

فكَرت في العودةِ إلى أشدَ الفتراتِ سعادة في حياتها. كانت تبلغُ من العمر واحدا وعشرين سنة وتسعة أشهرٍ، عندما حاولت أن تلعبَ دور شيشرون وفرجل في معهد البنات. وعندما حانت العطلة، كانت في نيويورك، تحمل مائتي دولار في دفترِ جيبها. كانت قد استقلَت حافلة وتوجَهت إلى الشَمال دون أيَ فكرة عن وجهتها. وصلت إلى مكان ما في فيرمونت ومضت إلى قرية أعجبت بمناظرها، حيثُ قامت باكتراءِ كوخٍ صغير في غابة. أخذت معها قطَها بترونيوس، لتجدَ نفسها في النَهاية مجبرة على تغيير اسمه الأنثويَ، إذ لاحظت أنَهُ يحملُ القليل من أوصافِ الهررة الصَغيرات. لاحقتها كلابٌ سائبة كثيرة وكانت في كلَ أسبوع تغادرُ القرية كي تشتري علب الأغذية من البقالات للقطَ ولنفسها. في كلَ يوم من أيَامِ ذلكَ الصَيف، صباحًا مساءً، كانت تتلقَى غذاءها المفضَل من الكارني والبشماط والشَاي. في فترة ما بعد الظَهيرة، تقطعُ الحطب وتجلسُ ليلاً في المطبخ وقدماها على الموقد، تقرأ وتغنَي لنفسها بصوت عالٍ.

يحوَمُ الشحوب على شفتي آليسن فتبدو كما لو أنَها تهمسُ بكلماتٍ مَا وهي تحدَقُ في مسند السَرير. سقطت موادُ الحياكة من يدها وحبست أنفاسها. توقَفَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلبها عن النبضِ. خيمَ السكونُ على الغرفةِ كما لو كانت قبرًا. انتظرت آليسن وفمها مفتوحٌ ورأسها محنيٌ على جانبِ الوسادةِ. تملّكها الذعرُ، ولكنّها عندما حاولت الصراخ لتكسرَ سكونَ المكان، لم ينبعث ولو مجرّدُ صوتٍ خافت. كان ثمّة طرقٌ خافت على البابِ، لكنّها لم تسمعهُ. لم تمضِ لحظاتٌ حتّى أدركت أنّ آناكليتو قد دخلَ الغرفةَ والآن هو يمسكُ بيدها. بعدَ السكون الطويل والمريع (الذي طالَ بالطبع أكثر من دقيقة)، وجدت قلبها ينبضُ ثانية. كانَ ثوبُ نومها يرتعشُ بخفّة على صدرها.

«هل حدثَ لكِ سوءٌ؟» سألها آناكليتو بصوتٍ خافتٍ ومحفّزٍ.

قالت: «لقد كنتُ مذعورة. هل حدثَ أمرٌ ما؟».

أخذَ منديلا من جيبِ معطفهِ وغمسهُ في كأسٍ من الماءِ ثمّ مسحَ على جبهتها: «لم يحدث شيء. سأظلُّ معكِ إلى أن تخلدي إلى النوم».

جنبًا إلى جنب مع ألوانهِ المائية جلبَ صينيّة من الحليب المملّح وأشعلَ النار ثمّ وضعَ الطاولة أمام الموقد. كانَ حضورهُ مصدرَ طمأنينة بالنسبة إليها إلى درجة أنّها أرادت أن تطلقَ تناهيد الشعور بالارتياح. بعدَ أنْ قدّمَ إليها الصينية، جلسَ إلى الطاولة وشربَ كوبهُ من الحليب المملّح ببطءٍ برشفاتٍ صغيرة. كانَ ذلكَ السلوكُ أحد الأشياء الّتي تشدّها إلى آناكليتو. لديهِ مهارةٌ في تحويل كلّ اللّحظات إلى سعادة. لم يتصرف كرجلٍ ينهضُ من فراشهِ مع سديم اللّيل ليجلسَ مع امرأة مريضة، على العكس من ذلك، لقد اختارا ساعةً معيّنة للقيامِ بحفلة معيّنة. كلّما كان بينهما شيء محلّ خلاف، كانَ يجدُ دائما طريقة لتجاوز الأمرِ عبر بعض التجاوزات. والآن، هو جالسٌ ومنديلٌ أبيض على ركبتيهِ وهو يشربُ كوبهُ من الحليب كما لو كانَ يشربُ كوبًا من النّبيذ.

سألتهُ: «هل تشعرُ بالنّعاس؟».

«لا مطلقًا».

ولكن في الوقت نفسه كان متعبا ولا يكفّ عن التثاؤب.

قالَ: «لقد أخذتُ قيلولة مع الظهيرة ونمتُ قليلا اللّيلة وحلمتُ بكاثرين».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا تستطيعُ آليسن التفكير في رضيعتها دونَ أن تعجَ داخلها أحاسيس مليئة بالحَب والحزن فيبدو الأمرُ كما لو أنهُ ثقل جاثمُ على صدرها لا يمكنها تحمَلهُ. لقد خفَف الزمن من خسارتها ولهذا تجدُ الآن القدرة على التحكَم في نفسها. لفترة من الوقت، بعد انقضاء أحد عشر شهرا من الفرح والتشويق والمعاناة، لم يتغير فيها شيء. تمَ دفنُ كاثرين في مقبرة المعسكرِ. لوقتٍ طويل كانت هَوِسَةُ بالصَورة القاسية لجسدٍ صغير ممدودٍ داخلَ قبرٍ. كانت مذعورة من فكرة أن يتحلَل الجسدُ ويتعفَنَ حتى أنَها قامت بنبشِ القبرِ ثمَ أخذت ما تبقَى من جسدها إلى محرقة شيكاغو وقامت بذرْ الرمادِ على الثلج. والآن، كلُ ما تبقَى من كاثرين، مجزدُ ذكريات تحملها مع آناكليتو.

انتظرت آليسن حتى يكون صوتها ثابتًا ثم سألت: «ما الذي حلمت بهِ؟».

قالَ في هدوءٍ: «لقد كانت ترتعدُ، بدا الأمرُ كما لو أنني أمسكُ بفراشةٍ بينَ يدي. كنت أرضعها في حضني ثم تشنَجت فجأة وكنتِ تحاولين الحصول على الماء السَاخن».

فتح آناكليتو صندوقَ الرَسمِ الخاص به وأخرجَ ورقة وفرشاة وألوانًا مائيَة. أنارت النَيرانُ وجههُ الشَاحبَ وزرعت لمعانًا في عينيهِ الدَاكنتين ثم واصلَ: «تغيَر الحلمُ، وبدلَ أن أكون مع كاثرين وجدتُ نفسي جاثيًا على ركبتي أمام حذاء الزَائدِ الذي كان عليَ تلميعهُ مرَتين في اليوم. كانَ الحذاء مليئًا بالفئرانِ الَتي وُلدت حديثًا وكنتُ أحاولُ الإمساكَ بها ومنعها من الخروج».

قالت وهي ترتعدُ: «اصمت آناكليتو! أرجوكَ!».

شرعَ في الرسم وكانت تشاهدهُ. غمَس فرشاتهُ في الكأس فارتسمت غيمة في الكأس. كان وجههُ وقورا وهو ينحني على الورقة. كانت تؤمنُ بأنَ آناكليتو رسام موهوب. عندما مكثوا بالقرب من نيويورك، كان يذهبُ في أوقاتِ الظَهيرة إلى رابطة الفنون وكانت شديدة الفخرِ به ولم تكن متفاجئة من رؤية العديد من الأشخاصِ في معرضِ الكلَية يأتون لرؤية لوحاتهِ أكثر من مرَة.

في الوقت نفسه، كانَ عملهُ مبتدئًا ولكن على درجة متطوَرة من الحسَ الفنَي، يزرع انطباعًا مختلفا لدى النَاظر. لكن لم يسمح له بأن يأخذ موهبتهُ بجدَية كي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يطوِّر نفسهُ أكثر.

قالَ في هدوء: «قيمةُ الأحلامِ، أنْ تفكِّر في أشياء غريبة. في أوقاتِ الظَّهيرة في الفليبين، عندما تكونُ الوسادةُ مبلَّلة، تشرقُ الشمسُ على الغرفة، الحلمُ كالوسادةِ أيضًا».

لقد عادت آليسن إلى حالةِ القلق ولم تكن تنصتُ إليهِ. قاطعتهُ فجأةً: «أخبرني، لقد كنت مستاءً هذا الصَّباح وقلتَ إنكَ ستسافرُ إلى الكيبيك لتفتحَ متجرَ ملابس هناك. هل لديكَ فكرة أخرى مماثلة لمتجر ملابس».

أجابها: «لماذا؟ أنت تعلمين أنَّني أرغب على الدَّوامِ في رؤية مدينة كيبيك. وأعتقدُ أنَّهُ لا وجود لشيء أجمل من فتحِ متجر ملابس أنيقة».

«هل هذا كلُّ ما لديك. كم تملكُ من أموالٍ في حسابك البنكيِّ؟».

فكَّر للحظات بينما كانت فرشاتهُ تطفو في كوب الماء: «أربعمائة دولار وستة سنتاتٍ. هل تريدينني أن أسحبها؟».

«ليس الآن. ولكنَّنا سنحتاجها لاحقا».

كانت الغرفة مليئة بلمعانِ ألسنة اللَّهب والظلال الرَّمادية. قال آناكليتو فجأة:

«انظري!». أخذ اللَّوحة الَّتي كان يرسمها ثمَّ رماها جانبًا. جلسَ وهو يضعُ كفيهِ على ذقنهِ ويحدِّقُ في الجمرِ الملتهبِ. «طاووسٌ من النوعِ الأخضرِ المروَّع. طاووس ذو عينٍ ذهبية هائلة، في داخلها تكمن تأمُّلات نابعة عن شيء ما صغير و...».

وهو يحاولُ العثورَ على الكلمة الصَّحيحة، قامَ برفعِ يدهِ وألصقَ السَّبابة بالإبهامِ فارتسمَ ظلُّ على الحائط خلفهُ: واصل: «شيء صغير...». أكملت خلفهُ: «شيء صغيرٌ وغريبٌ».

أومأ لها: «بالضَّبط».

كان الجندي وليامز قد قضى ساعة واحدة في غرفةِ ليونورا . لقد انتظر عندَ ضواحي الغابة أثناء الحفلةِ. وعندما رحل جميعُ الضيوف، راقب عبر نافذة غرفة

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجلوس ما يحدث إلى أن غادرت زوجة النقيب نحو الفراش.

مع مرورِ الوقتِ، أتى كعادتهِ. كان القمرُ جليًا ساطعا بلونهِ الفضّي في الغرفة. كانت السّيدة ترقد على جنبها بوجهها الأبيض الدّافئ الذي كان ينامُ بين يديها. كانت ترتدي ثوب النوم والغطاءُ متدلٌ إلى الأسفل حتّى الخصر. جلسَ الجنديّ في صمتٍ على حافّة السّرير. تلمّسَ في حذرٍ القماش الرّطب بإبهامهِ وسبّابتهِ. عندما كان جالسًا هناك، كان يقف أمام المكتب وهو يحدّق في الزّجاجات ومسحوق التّجميل. كانَ ثمّة شيء واحدٌ أثار اهتمامهُ، المرذاذ الذي أخذهُ ومضى بهِ نحوَ النّافذة كي يقومَ بتجريبهِ بوجهٍ زُرعت فيه ملامحُ الحيرة. على الطّاولة كان ثمّة فخذ دجاجٍ أكلَ نصفهُ. تلمّسهُ الجنديّ واشتمّهُ ثمّ قضمهُ.

الآن، يجلسُ القرفصاء، عيناهُ مغمضتان، ابتسامةٌ مبلّلة تطفو على شفتيهِ. عندما انقلبت زوجةُ النقيب على جانبها، أطلقت تنهيدة وأرخت جسدها أكثر. بأصابعَ قلقة تلمّسَ الجندي خصلات شعرها التي كانت تنسابُ على الوسادة.

كانت السّاعة تشيرُ إلى الثالثة صباحًا عندما تصلّبَ الجنديُّ وليامز في مكانهِ فجأة. حدّق حولهُ وبدا أنّه يستمع إلى بعض الأصوات. لم يدرك مطلقًا ما الذي حدث ومصدر اللاّطمأنينة التي في داخله. رأى لاحقًا أنَّ الأضواء في المنزل المجاور قد أنيرت. في سكون تلك الليلة، كان يسمعُ بكاء امرأة. مع مرور القليل من الوقت، سمعَ محرّك سيارة توقّفت أمام المنزل المضاء. مشى الجندي وليامز في هدوء نحو القاعة المظلمةِ. كان باب غرفة النقيب مغلقا. مع مرور لحظاتٍ، كانَ يمشي ببطء في ضواحي الغابة.

لم ينم الجنديّ في اليومين والليلتين الماضيتين فتورّمت عيناه من التّعب. قام بنصف جولة حول المعسكر إلى أن عثر على مدخلٍ صغير نحوَ الثّكنة. في تلكَ الظّريق لم يلتق بالحارس اللّيلي. عندما وصل إلى سريره، غرق في نوم عميق. ولكن عند الفجر، ولأوّل مرّة في تلك السنوات، رأى حلمًا أربكَ نومهُ. لقد تمّ إيقاظُ الجندي ورميهِ بحذاء.

بما أنَّ الجندي وليامز لا يملكُ أصدقاء داخل الثّكنة، فإنَّ غيابه في تلك الليالي لم يلفت انتباه أحدٍ. كانوا يعتقدون أنَّ الجندي يملك حبيبة. كثير من الرجال المجنّدين كانوا متزوّجين سرًّا ويمضون الليل أحيانا في المدينة مع زوجاتهم. عند

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السَاعة العاشرة صباحًا كانت الأنوار مطفأة في غرفة النوم الطويلة المزدحمة، لكن لم يكن جميع الرِجال نائمين حتى هذه الساعة. في بعض الأحيان، خاصةً في بداية الشهر، يتمّ تنظيم مباريات بوكر في الحمّام وتستمرّ كامل اللّيل. مرّة اعترض الحارس الليلي الجندي وليامز وهو في طريقهِ إلى الثكنة ولم يعترض على دخولهِ، ذلكَ أنّ وجههُ أضحى مألوفًا.

نامَ الجندي وليامز طيلة اللّيالي الماضية، بطريقة عادية. في أوقات الظهيرة، يجلس وحيدا على مقعد مقابل للثكنة وفي اللّيل يتردّد على أماكن التّرفيه في الثكنة. يمضي لمشاهدة الأفلام ويذهب إلى قاعة الرّياضة. في المساء، يتمّ تحويل صالة الألعاب الرّياضية إلى حلبة تزلّج على الجليد. كانت هناك موسيقى وركن جانبي حيث يمكن للرجال أن يأخذوا قسطًا من الراحة وأن يتحلّقوا حول الطّاولة من أجل شربِ البيرة الباردة. طلبَ الجندي وليامز كأسًا من البيرة وكانت تلك هي المرّة الأولى التي يتذوّقُ فيها الكحول. كان الجوّ صاخبًا، الرّجالُ يتزلّجون، ورائحة العرق ممزوجة برائحة الأرضية الشمعيّة تنبعث في الهواء. كان ثمّة ثلاثة رجالٍ طاعنون في السّن، تلقّوا صدمة عندما قام الجنديّ وليامز ليجلسَ معهم للحظاتٍ. حدّق الجندي الشّاب فيهما وبدا أنّهُ بصدد طرحِ بعضِ الأسئلة عليهما. ولكن في النّهاية لم ينبس بكلمةٍ، ليغادر بعد ذلكَ بعيدًا.

لم يكن الجنديُّ وليامز اجتماعيا حتى أنه من الصعب العثور على من يعرف اسمهُ. في الواقعِ، الاسم الذي يعتمدهُ في الجيش، ليس هو ذاتهُ اسمهُ الحقيقيّ. في عمليّة تجنيدهِ، حدّقَ الرّقيب في إمضائه وهو يكتب آل جي وليامز فصرخَ في وجهه: «اكتب اسمكَ كاملا أيّها المخاطيّ الخجول». انتظر الجنديّ طويلا حتى عرف أنّ تلك العلامات هي اسمهُ وأنّهُ يحمل اسما واحدا. قال الرّقيب: «حسنًا، لا يمكنك الانضمام إلى الجيش الأمريكيّ باسمٍ ملعون كهذا. سأغيّرهُ إلى إليجي. اتفقنا؟». أومأ الجندي بالموافقةِ وبدت على وجههِ علامات اللّامبالاةِ بهذا الأمر.

إنّهُ شهرُ تشرين الثّاني الآن، عصفت عاصفة كبيرة. بين عشيّة وضحاها تمّ تجريد القبقب الصغير على طول الأرصفة من أوراقه. تكوّمت الأوراق الذهبية السّاطعة تحت الأشجار والسّماء مليئة بالغيوم العابرة البيضاء. في اليوم الموالي، كانت ثمة أمطار باردة، تبلّلت الأوراق وأضحى لونها بنّيا والعالمُ يدوسها في الشّوارع المبلّلة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هدأ الطَقسُ مرّة أخرى وأضحت أغصان الأشجار العارية أشدّ حدّة وهي تلوّح إلى السّماء. في الضباح الباكر كان هناك صقيع على العشب الميّت.

بعد مضيّ أربع ليال من الرّاحة، عادَ الجنديّ وليامز إلى منزلِ النقيب. في هذه المرّة، بعد معرفتهِ بعاداتِ المنزلِ، لم ينتظر حتّى يمضي النقيب إلى فراش النّوم. مع منتصف اللّيل عندما كان النقيب في مكتبهِ، مضى الجندي إلى غرفةِ ليونورا وظلّ هناكَ نصف ساعة. توقّف بعدَ ذلكَ بالقرب من نافذة المكتب وحدّق حتّى الساعة الثانية صباحًا توقيت ذهاب النقيب إلى النّوم. حدثَ شيء ما في تلك الليلة لم يفهمهُ الجنديّ. في تلكَ الليالي الّتي أمضاها يستطلعُ المنزل ويمضي اللّيل في غرفة السّيدة، لم يكن ينتابهُ خوف. لقد شعر بذلك ولكن لم يفكّر فيه. لقد خاض تلك التّجربة دون دراسة عقليّة لما حدث في السّابق وما يحدث اليوم. قبل سبع سنوات، قتل آل جي وليامز رجلًا. بسبب عربة يدويّة من السّماد، قام بطعن شخص زنجيّ حتّى الموت وأخفى جسدهُ في مكان مهجور. لقد طعنه وهو يشعر بنوبات غضب كبيرة. في وسعه أن يتذكّرَ لون الدّم القاسي والجسد الأعرج الّذي كانَ يجرّهُ عبر الغابة. يمكنهُ أن يتذكّر شمس يوليو الحارقة، رائحة الغبار ورائحة الموت. انتابهُ قلقٌ مختلف، نوعٌ من الاستغاثة، ولكن لم يكن ثمّة خوفٌ منذ تلك اللّحظة التي اقترف فيها جريمة. العقل أشبهُ بنسيج مُحاكٍ بعناية يتم فيه تقطير الألوان من التّجارب والحواسّ.

في أيّام هذا الشتاء الأولى، انتابت الجنديّ وليامز قناعة واحدة وهي كالتالي: بدأ يدرك أنّ النقيب كان يتبعه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع

ليسَ من السَهلِ في الثكنة العسكريَة أن يتواصلَ ضابطٌ مع مجنّدٍ. كانَ النقيب بندرتن على وعي بهذا الأمر. لو كان يعمل ضابطَ خطٍّ عادي مثل الرائد موريس لانغدن، يرأسُ كتيبة أو فوجا لكان يجمعهُ قدر كافٍ من التواصل مع الرِجالِ الذين هم في إمرتهِ. فالرَائدُ لانغدن يعرفُ كلَ الجنود بأسمائهم ووجوههم. ولكنَ عملَ النقيب في المدرسة منعهُ من أن يكونَ على معرفة جيّدة بالجنود. ولكن في ركوبهِ الخيل (يبدو عدمُ خوفهِ من ركوبِ الخيل نوعًا من الثهور بالنسبة إلى النقيب هذه الأيام) لم يكن ثمّة مجالٌ لبناء أيّ علاقات مع الجنديّ الذي أضحى يكنُّ تجاههُ كرهًا شديدًا.

ومع ذلك، شعر النقيب برغبة ملحّةٍ في التواصلِ مع كائنٍ مثلهُ. لقد فكّر طويلًا في الجندي فتحوّلَ إلى مصدرِ قلقٍ بالنسبة إليه. مضى كعادتهِ إلى الإسطبلات. أسرجَ الجنديُّ وليامز حصانهُ وأمسكَ باللّجام وهو يمتطيه. عندما علمَ النقيب مسبقًا بأنهُ بصدد مقابلةِ الجندي، شعرَ بالدّوار. خلال اجتماعاتهما القصيرة العابرة، عانى من انقباض نتيجة لانطباعاتٍ فضوليّة ارتسمت داخله . عندما كان بالقرب من الجندي وجد نفسه غير قادر على الرؤية أو السَماعِ بشكلٍ سليم. ولكن سرعان ما مضى الجندي بعيدا فاتّضحت الأشياء ليجدَ نفسهُ وحيدًا مرّة أخرى. ارتسمت فكرة الجندي الشّابّ على وجههِ الذي ارتسمت فيه عيناهُ الساكنتان، كانت شفتاهُ الحسّيتانِ مبلّلتانِ، كانت الصفحة التي ارتسمت داخله تحملُ صورة شابّ صبيانيّ لا تطاقُ. كانَ نادرًا ما يسمعُ الجنديّ وهو يتحدّثُ، ولكنَ صوته الجنوبي البطيء كان يتردّدُ باستمرار في ذهنه مثل أغنية مزعجة.

في وقت متأخّر من الظّهيرة، مشى النقيب في الشّوارع بين الإسطبلات والثكنات على أمل لقاء الجنديّ وليامز. عندما لمحهُ من بعيد وهو يمشي ببطءٍ، شعرَ النقيب بشيء متعثر في حنجرتهِ لا يمكنه ابتلاعهُ. في وقتٍ لاحقٍ، عندما كانا وجهًا لوجهٍ، حدّق الجنديّ وليامز بغموض في كتف النقيب وألقى عليهِ التّحية في هدوءٍ. حدثَ أن كانا يقتربانِ من بعضهما البعض، فرآه النقيب وهو يخرجُ قطعة من الحلوى، وما إن مضت لحظاتٌ حتّى رمى الشّريط الأنيق الذي لُفّت بهِ على العشب المتاخم للرّصيف دون مبالاةٍ. أغضبَ هذا التّصرّف النقيب، وحينَ مضى بعيدًا أخذَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشَريط ووضعهُ في جيبهِ.

النقيب بندرتن، الذي عاش معظمَ حياتهِ محاطًا بالقسوة وانعدامِ العاطفة، لم يشكّك ولو لمرّة واحدة في الكراهية التي يكنّها لهذا الجندي. مرّة أو مرّتين، حدث أن استيقظ متأخرا بعد تناول الكثير من سيكُوبازبيتال، عادت بهِ ذاكرته إلى تلك الحادثة فتضايق من الأمر. ولكنّه لم يبذل أيّ جهد حقيقيّ لإجبار نفسه على نسيان الأمر.

في ظهيرةِ أحد الأيّام، قاد سيّارته أمام الثكنةِ فرأى الجنديّ يستريح بمفرده على إحدى المقاعد. أوقف النقيب سيّارته في الشّارع وجلس يراقبه. استلقى الجنديّ على المقعد وبدا كما لو أنّهُ في قيلولةٍ. كانت السّماء خضراء شاحبة والشّمسُ الشتويّةُ الحادّة تلقي ظلالها الممتدّة. راقب النقيب الجنديّ إلى أن حانَ موعدُ العشاء. بعدَ مغادرة الجنديّ ويليامز، ظلّ النقيب جالسًا في سيّارتهِ ينظرُ إلى محيط الثكنة في الخارجِ.

خيّمَ الظلامُ على المكانِ وأنيرت الأضواء. في قاعةِ الاستراحةِ، كانَ يرى الرّجالَ وهم يلعبون البلياردو ويتصفّحون المجلاّت. فكّر النقيب في الفوضى الّتي تعمّ المكان والطّاولات الطويلة المليئة بالطّعام السّاخن والجنود الجائعين وهم يأكلون ويضحكون معا في ألفة حميمة. لم يكن النقيب على دراية بالرجال المجنّدين وكانت صورته للحياة داخل الثكنات غنيّة بدرجة كبيرة بما يدور في رأسه من خيالات. انجذب النقيب نحو العصور الوسطى وقام بدراسة متأنية للتّاريخ الأوروبيّ خلال الفترات الإقطاعيّة. كانت تصوّراته عن الثكنات تحمل مذاق تلك الفترات. شعر بالوحدة وهو يفكر في الألفي رجل الذين يعيشون معهُ في هذا الفضاء الكبير. جلس في السّيارة المظلمة وبينما كان يحدّق في الغرف المزدحمة المضاءة، أنصتَ إلى صراخِ الجنودِ ورنينهم، فاندفعت الدموع من عينيه الزجاجيتين. شعرَ بالوحدة المريرة وهي تقضم روحهُ، فانطلقَ بسرعة نحوَ البيت. كانت ليونورا بندرتن تستريح على أرجوحة عند حافة الغابة عندما وصل زوجها. توجّهت نحوَ المنزل وساعدت سوزي في المطبخ، إذ كانوا سيتناولون العشاء ويخرجون لحضور حفلة. أرسل لهم صديق بعضَ طيورِ السمّان وهي تعتزم الاستيلاء على صينية لصالح آليسن، ليذهبا لزيارةِ الصّديق الّذي أصيب بنوبة قلبية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حادَة في الحفلة التي انتظمت قبل أكثر من أسبوعين وظلَّ طريحَ الفراش. رتَبت ليونورا وسوزي الطعام على طبقٍ فضيٍ ضخم. وضعا على الطَبق طائرا سمَانٍ وخضرواتٍ مختلفةٍ وبعض العصائر الَتي اندلق القليل منها من الكؤوس فشكلت بركة صغيرة في منتصف الصَينية. كان ثمة الكثير من الأطعمة اللَذيذة. عندما خرجت ليونورا حاملة طبقا كبيرا تبعتها سوزي وهي تحمل صينيَة كبيرة.

عندما دخلت مرَة أخرى إلى المنزلِ، سألها النقيب: «لماذا لم تأخذي معكِ المنزلَ بأكملِهِ».

قالت ليونورا: «يا لكَ من مسكين. هو ميتٌ بطبيعتهِ. إنَهُ يأكلُ الطَعامَ في نادي الضبَاط. فكَر في الوضعية التي يمرُّ بها».

قاما بارتداء ملابسهما ثمَ توقَفا قليلا قبالة المدفأة في غرفةِ الجلوسِ أمام زجاجة من الويسكي على الرفِّ. ارتدت ثوبها الأحمر وارتدى النقيب بذلتهُ الرَسمية. كانَ النقيب متوتَرًا وظلَّ يفكَرُ في كوبِ الثلج الذي في كأسهِ.

قالَ فجأة: «هاها، أنصتي إلى هذه الحكاية الجميلة الَتي سمعتها اليوم».

وضع سبَابته على أنفه. كان في طريقه إلى سرد قصَة وقبل ذلك جلس يرسم هيكلا عظميًا.

«منذ وقت ليس ببعيد، كانت هناك مكالمة هاتفيَة للجنرال، تعرَف الضابط على صوت آليسن فمرَر المكالمة مباشرة. قالت: يا سيَدي الجنرال، أريدُكَ أن تسدي لي خدمةً. أريدكَ أن ترى جنديَك الذي لم ينهض بعد رغمَ حلول السَاعة السَادسة صباحًا ورنين المنبَهِ. أزعجَ ذلكَ السَيدة لانغدن. توقف الجنرال قليلا ثمَ قال: أترجَاكِ، أرجوكِ، لا أعتقدُ أنَني فهمتك. قامت بتكرار الطَلب فعمَت حالة من الصَمت الَتي كانت طويلة . قالَ الجنرالُ مرَة أخرى: أنا أترجَاك، من الَذي يتحدَثُ معي الآن؟ معكَ آناكليتو خادمُ منزلُ السَيدة لانغدن. أنا أشكركَ».

انتظر النقيب بوقاحة، إذ ما من أحد كانَ يضحك على نكاته. ولم تضحك ليونورا لأنَها كانت في حيرةٍ.

سألتهُ: «ما الَذي كانَ يقولهُ؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«لقد كانَ يحاولُ أنْ يقول باللغة الفرنسية إنه خادم ».

«هل تعني أنَّ آناكليتو قد اتَّصل بهِ كي يخبرهُ أنَّ المنبّهَ لم يتوقَف. لا أستطيعُ تصديق ذلك!».

قالَ النقيب: «إنَهُ مغفَلٌ. في الواقعِ لم يحدث شيء من هذا قبيل. إنَهُ مجرَد نكتة لا غير».

لم تفهم ليونورا مقصدهُ. لم تكن ثرثارة. في البداية، كانت تجدُ صعوبةً في تخيَل أيِّ شيء لم يحدث معها داخلَ غرفتها. إضافة إلى كونها لم تكن خبيثة مطلقًا.

«لماذا تقدمُ على تأليفِ مثلِ هذه الأشياء. إذا لم يحدث ذلكَ مطلقًا فلماذا يصرُّ المرء على حدوثها؟ هذه النكتة تصوَر آناكليتو كمجنونٍ. كيف فكّرت في تأليفِ هذا الأمر؟».

تجاهلَ النقيب الأمر ثمَّ شربَ كأسهُ. كان قد اختلق عددا من الحكايات السخيفة حول آليسن وآناكليتو، نجحت كلها في الانتشار في المعسكر. اختلاقُ هذه الحكايات القصيرة المخزية وشحذها منح النقيب الكثير من المتعة. أطلقها بتكتم، ممَا بيَن أنَهُ صاحبها ولكنَه كان ينقلها عن مصدر آخر. لقد فعلَ ذلكَ دون حياء ودون خوف من أن يبلغَ ذلكَ مسامعَ موريس لانغدن.

الليلة، لم تحقَق القصَة الرضا الكافي للكابتن.

كان في المنزل بمفرده مع زوجته، شعر مرَة أخرى بالكآبة التي تملَكته بينما كان جالسًا في السيارة قبالة الثكنة. ارتسمت في ذهنهِ كفَا الجندي وشعرَ بقشعريرة تتسرَب في جسدهِ.

قالت ليونورا: «بماذا تفكرُ بحقِّ الجحيم؟».

«لا شيء».

«أنت تبدو غريبًا جدًا بالنسبة إلي».

لقد رتَبا الأمر لأخذ موريس لانغدن، وبينما كانا بصدد المغادرة طلبا من موريس وآليسن أن يتجرَعا بعض الكؤوس. كانت آليسن مستلقية ولهذا لم يصعدا إلى أعلى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تناولوا المشروب بسرعة في غرفة الأكل، إذ كانوا قد تأخروا عن الموعد. عندما انتهوا من الأمر، قدّم آناكليتو إلى الرّائد قباءهُ العسكري. تبعهم الفلبيني إلى الباب ثم قال بلطف شديد: «أرجو لكم مساءً جميلًا».

قالت ليونورا: «شكرًا جزيلًا، أرجو لكَ ذلكَ أيضًا».

رغمَ ذلك، لم يكن الرّائدُ يشعرُ بالذنبِ. نظر إلى آناكليتو بريبة.

أغلقَ آناكليتو البابَ ثمَّ أسرعَ نحوَ غرفةِ الجلوسِ وأبعدَ الستارة قليلاً كي يرى ما يحدثُ في الخارج. كانَ آناكليتو يحمل كرهًا شديدًا تجاههم. وقفوا ثلاثتهم ليدخّنوا بعض السّجائر. انتظرهم آناكليتو بفارغ الصّبر. بينما كانَ في المطبخِ، خطرت في باله مكيدةٌ طريفة، قام بنقلِ ثلاث قرميدات من حديقة الورود ووضعها في نهاية الرصيف الأمامي المظلم. في ذهنه، رأى ثلاثتهم وهم يسقطون مثل قوارير البولينغ. عندما مشوا أخيرًا في الحديقة باتجاه السيارة التي كانت متوقفة أمام منزل بندرتن، كان آناكليتو في حيرة شديدة إلى درجة أنه قام بعضّ إبهامهِ قبلَ أن يسرع لإزالة القرميد، لأنه لا يريد لأيّ شخص أن يقع في شراكه.

مساء تلكَ الليلة كانَ ككلِّ المساءات. ذهبت عائلة بندرتن مع الرائد لانغدن للرّقص والاستمتاع في نادي بولو. كان لدى ليونورا اندفاعها المعتاد من الملازمين الصغار ووجد النقيب بندرتن الفرصة كي يؤلف قصة من وحي الخيال حول ضابط المدفعية الّذي كان يتمتع بسمعة طيّبة. ظلَّ الرائد في الصالة مع مجموعة من أصدقائه يتحدّثُ عن الصّيد والسّياسة والخيول. كان من المفترض أن يكون هناك مطاردة في صباح اليوم التالي فغادر بندرتن وزوجته والرّائد مع حوالي الساعة الحادية عشرة. بحلول تلك الساعة، كان آناكليتو، الذي بقي مع عشيقته لفترة من الوقت ومنحها حقنة، في السّرير. كان دائمًا مستلقيًا على الوسائد مثل السيدة آليسن رغم أن تلك الوضعية لم تكن مريحة بالنسبة إليه حتى أنه لم يستطع الحصول على قسط من الراحة ليلًا. آليسن نفسها كانت غافية. كان الرّائد وليونورا في غرفتيهما نائمين بهدوء مع حلول منتصف الليل.

جلسَ النقيب بندرتن لفترة قصيرة في مكتبه. كانت ليلة هادئة من شهر نوفمبر وكانت رائحة الصّنوبر تملأ الهواء. لم تكن ثمّة ريح وكانت الظلال المظلمة تستلقي على المروج. في ذلك الوقت، نهضت آليسن من النوم. كان لديها سلسلة من الأحلام

الغريبة والحيوية التي عادت بها إلى زمن طفولتها وكافحت كي تعود إلى وعيها. ولكنَّ كفاحها ذهب أدراجَ الرِّياح، لتجدَ نفسها مستلقية على فراشها وعيناها تسبحانِ في الظلمةِ. شرعت في البكاء، كان يبدو أنَ صوتها النَاشفَ لم يكن منبعثًا من أنفاسها بل كانَ مصدرهُ ألم غامضٌ ينامُ في مكانٍ ما في اللَيل. كانت تعاني من حزنٍ شديد لمدَة أسبوعين بكت فيهما مرارًا. في البداية، كان من المفترض أن تلزم الفراش، حيث نبَهها الطَبيب إلى أنَ موجةٌ أخرى من التَعبِ قد تنهيها. لم تعر طبيبها اهتمامًا ونظرت إليهِ كطبيب من الدَرجة الأولى رغم أنَهُ كان جزاحا. في أحدِ المرَات، دخلَ معها في جدالٍ وأصرَ على أنَ الموزمبيق تقع في الغرب بدلاً من ساحل أفريقيا الشرقي، ولم يعترف بخطئه إلاَ حين أرته خارطة أطلس ولكن

Telegram:@mbooks90

رغم ذلك احتفظت ببعضِ المعطياتِ والنَصائح التي عرضها. كانت مضطربة. وقبل يومين تملَكها الحنين فجأة إلى العزف على البيانو، فاستيقظت وارتدت ملابسها ونزلت إلى الطابق السَفلي عندما كان آناكليتو وزوجها بعيدين عن المنزل. عزفت لبعض الوقت وروَحت عن نفسها. في طريق عودتها إلى الغرفة، عبرت الدَرجات ببطء، ورغم التعب الشديد الذي كانت عليه فلم يكن لذلك أيَة مضاعفات. إنَهُ الشعورُ بأنَكَ مقيَد. عليها أن تنتظرَ حتَى تتحسَن صحَتها كي تنفَذ خططها. في البداية كان لديهم ممرَضة ولكنَ الممرَضة لم تكن علاقتها جيَدة مع آناكليتو فغادرت بعدَ مضيَ أسبوعٍ. كانت آليسن تتخيَلُ الأشياء باستمرار. في تلكَ الظَهيرةِ، صرخَ طفل مَا في أحدِ الأحياء مثلما يصرخُ الأطفال في العادةِ عندما يلعبون. كانَ يتملَكها خوف من أن يكونَ الطَفلُ قد صدمتهُ سيَارة. أرسلت آناكليتو كي يرى ما يحدثُ في الشارعِ، ورغمَ أنَهُ أقنعها بأنَ الأطفالَ كانوا يلعبون فقط، فإنَ ذلك لم يخمد قلقها. قبلَ يومٍ من ذلك، اشتمَت دُخانًا فاعتقدت أنَّ المنزلَ يحترق. تفقَد آناكليتو كلَ جوانبِ المنزلِ ولم تقتنع مطلقًا. أي ضجيج مفاجئ أو حادث تافه من شأنه أن يجعلها تبكي. كان آناكليتو يعضَ أظفارهُ بسرعة أمَا الرائد فيظلُ بعيدًا عن المنزل قدر الإمكان. الآن مع منتصف الليل، وهي تبكي في الغرفة المظلمة، تملَكها وهمٌ آخر. نظرت عبر النافذة ورأت ظلَ بندرتن وهو ينعكسُ على العشب الأخضر. كانَ يقفُ في هدوء متَكئا على شجرة صنوبر. بينما كانت تراقبهُ، كان يسلكُ العشبَ ويمضي نحوَ الباب الخلفي. لقد أحدث ذلك الرجل صدمة بالنسبة إليها وتساءلت ما إذا كان ذلك الرجل هو زوجها. كانَ يتسرَبُ إلى زوجةِ بندرتن الذي كانَ في المنزلِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مشغولا في مكتبهِ. كانت تشعرُ بغضبٍ شديد لم يتوقف. اشتدَّ بها التَعبُ والمرضُ وهو ما دفعها إلى التقيؤِ في الحمَام. وضعَت بعدَ ذلكَ معطفًا فوقَ ثوب النومِ وانتعلت زوجي حذاء.

لم تتردَد في الذَهاب إلى منزل بندرتن. لم تسأل نفسها عمَا ستقوم بهِ رغم أنَها تكرهُ الإقدام على فعل أشياء كتلك. مضت نحوَ المنزل وأغلقت الباب خلفها بعنفٍ. كانت الصَالة نصفَ مظلمةٍ، إذ كانت ثمَة مصباح وحيد مضاء. تنفَست بألمٍ وهي تسلكُ الدَرج. كان باب ليونورا مفتوحًا ورأت صورة ظلَية لرجل يجلس القرفصاء بجانب السَرير. مضت نحو الغرفة وفتحت مصباحًا في الزَاوية. غرق الجنديّ في النَور. وضع يده على عتبة النَافذة ونهض قليلا. تململت ليونورا قليلا وتذمَرت ثمَ التفتت نحوَ الحائطِ. وقفت آليسن على عتبة الباب وقد خيَم البياضُ على وجهها ولفَتها الدَهشة، ثم دون أن تنبسَ بكلمة انسحبت من الغرفة.

في غضون ذلك، سمع النقيب بندرتن الباب الأماميَ وهو يفتح ثمَ ينغلقُ. شعر أنَ هناك شيئًا ما خاطئًا، لكنَ غريزته دفعته إلى البقاء في مكتبه. ضرب الطَاولة بممحاة قلمه وانتظر قليلًا. لم يكن يعرف ما يمكن توقعه، لكنَه فوجئ عندما كان هناك طرق على الباب وقبل أن ينهض كانت آليسن قد دخلت المكتب.

استفسرَ النقيب بعصبيَة: «ما الذي أتى بكِ إلى هنا في هذا الوقت من اللَيل؟».

لم تجبهُ مباشرةً. جمعت طوق معطفها حول عنقها. عندما تحدَثت في النَهاية، كان صوتها يحمل نغمة خشبيَة كما لو أنَّ الصَدمة قد قتلت في داخلهِ الحركة. قالت: «أعتقدُ أنَهُ عليك الذَهابُ إلى غرفة زوجتك».

هذا الإعلان، مع ظهورها الغريب، أذهل النقيب إلى حدٍّ كبير. في رمشة عين، خطرت عديد الافتراضات المتضاربة إلى ذهن القبطان. كانت كلماتها تعني شيئا واحدًا، أنَ موريس لانغدن كان في غرفةِ ليونورا. ولكن بالطَبع، لم يكن الأمرُ كذلك. وإذا كانَ الأمرُ كذلك، أيُّ موقفٍ سيجدُ نفسهُ فيه! كانت ابتسامة النقيب رقيقة وكان متحكَمًا في نفسه. لم يكشف بأيّ حال من الأحوال عن مشاعر الغضب والشَك والانزعاج الشَديد.

قالَ بصوتٍ أمومي: «تعالي يا عزيزتي. يجبُ ألا تتجوَلي في مثلِ هذه الأماكن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سآخذك إلى المنزل».

نظرت آليسن إلى النقيب بنظرة طويلة خارقة. بدت وكأنها تجمعُ بعض الألغاز في ذهنها. بعدَ مضي بعض الوقت، قالت ببطءٍ: «أنت لا تعني أنك تجلسُ هناك وتعلمُ كلَ شيء ولا تريدُ القيام بأيّ شيء حيال هذا الأمر؟».

بعناد، حافظ النقيب على توازنه ثمَ قالَ: «أنتِ خارجَ وعيك الآن ولا تعلمين عمَا تتحدَثين عنه».

نهض على عجل وأخذ آليسن من ذراعها. صدَهُ تحسّسهُ لذراعها الضَعيف والهش النائم تحت معطفها. سارع بها عابرًا الدَرجات والعشب. كان الباب الأماميَ لمنزلها مفتوحًا، ومع ذلك قرعَ النقيب الجرس بقوَة. بعدَ لحظاتٍ، أتى آناكليتو إلى الصَالة. قبل أن يهمَ النقيب بالخروج، رأى موريس وهو يغادر الغرفة بمشاعر تراوح بين الارتباك والرَاحة ثمَ عادَ إلى منزلِهِ ليتركَ لآليسن حرَية تفسير الأمر كما تريد.

في الصَباحِ الموالي لم يكن النقيب بندرتن متفاجئا من معرفة أنَ آليسن لانغدن قد فقدت عقلها. مع الظَهيرة علم كلَ من في المعسكر بالأمر. (كانت حالتها عبارة عن انهيارٍ عصبيَ ولكن لم يعر أحد انتباهًا لذلك). عندما ذهب النقيب وليونورا ليعرضا خدماتهما، وجدا الرَائدَ وهو يقف أمامَ بابِ مغلقٍ لزوجتهِ الَتي كانت تضعُ منشفة على كتفها. كانَ يقفُ هناك في صبرٍ كامل اليوم. كانت عيناه الفاتحتان عريضتين من أثر الصَدمة. نزلَ إلى أسفل وصافح بندرتن وزوجتهُ بغرابة وألمٍ شديد.

باستثناء الطَبيب، احتفظَ الرائد لانغدن بتفاصيل هذه المأساة في قلبه. لم تمزَق آليسن الأغطية ولم تخرج الرَغوة من فمها مثلما يتصوَر. عند مجيئها إلى المنزل في ثوب النَوم تمام الساعة الواحدة صباحًا، لم تقل فقط إنَ ليونورا تقومُ بخيانةِ زوجها فحسب بل وتخونهُ مع جنديَ. طلبت الطَلاق وقالت أيضا إنَها لا تملك ما يكفي من مالٍ وإنَها ستكون ممتنَة لو أعارها خمسمائة دولار بفائدة أربعة بالمائة وبضمانٍ من آناكليتو وينتشبيك. ردأ على أسئلته المذهلة، قالت إنها ستسافرُ مع آناكليتو ليشرفا معا على بعض المشاريع أو سيشتريان قاربًا. كان آناكليتو طوال اللَيل منشغلا بلمَ أمتعتها تحت إشرافها. توقَفا الآن لشرب الشاي الساخن ودراسة الخارطة لتحديد وجهتهما.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في وقت ما قبل الفجر استقرا في مولتريفيل، ساوث كارولينا.

كان الرّائد لانغدن يهتزّ بسرعة. لقد وقف في زاوية غرفة آليسن لفترة طويلة وشاهدهما وهما يحزمان أمتعتهما. لم يتجرأ على فتح فمه. بعد فترة طويلة، عندما غرق كلّ ما قالته في ذهنه، اضطرّ إلى الاعتراف لنفسه بأنها كانت مجنونة. أخذ مقصّ أظفارها وملقاط حواجبها من الغرفة ثمّ ذهب إلى الطّابق السّفلي وجلس على طاولة المطبخ مع زجاجة من الويسكي. بكى وامتص الدّموع المالحة من شاربه الرّطب. لم يحزن فقط من أجل آليسن، لكنه شعر بالخجل كما لو كان ذلك انعكاسًا لقيمته. وكلّما زاد من شربه، بدا له أنّ مصيبته غير مفهومة. وسرعانَ ما رفعَ عينيهِ إلى سقف المطبخ وشرعَ في التضرّع.

«إلهي؟ إلهي؟».

ومرّة أخرى خبط رأسه على الطّاولة حتى انتفخت نقطة على جبينه. بحلول السّاعة السّادسة والنصف صباحًا، أنهى أكثر من ربع لتر من الويسكي. استحمّ، وارتدى ملابسه، واتّصل بطبيب آليسن الّذي كان كولونيلا في السّلك الطبي وصديقا للرائد. قاما بدعوة طبيب آخر وأشعلا أعوادَ ثقابٍ أمام أنف آليسن وطرحا عليها العديد من الأسئلة. خلال فترة العلاجِ تلك، التقط الرائد المنشفة من الرّفّ في حمّامها ووضعها على ذراعه. بدا حينها كما لو أنه يتجهّز لظرفٍ طارئ. قبل مغادرته، تحدّث الكولونيل لفترة طويلة، مستخدما كلمة «علم النّفس» عدّة مرات. وكان الرّائد يومئ برأسه مع نهاية كلّ جملة. انتهى الطبيب وخلصَ إلى حتميّة أخذها إلى المصحّة في أقرب وقت. قالَ الرّائدُ في يأسٍ:

«لكن انظر، هناك لا يوجد فستان كذاك ولا يوجد مكان كهذا يمكنها فيه تشغيلُ الفونوغراف بكلّ راحة. أنت تعلمُ ما الذي أعنيه».

في غضون يومين تمّ اختيار مكان في ولاية فرجينيا. بسبب العجلةِ، تمّ اختيار المكان بسبب السّعر (الذي كانَ باهظا بطريقة لا تصدّق) أكثر من سمعة العلاج. اكتفت آليسن بالاستماع بمرارة عندما تمّ إخبارها بالمخطّط. بالطّبع سيذهب معهما آناكليتو. مضت أيّام قليلة وغادروا ثلاثتهم بالقطار.

تعتني هذه المؤسسة في فرجينيا بالمرضى جسديّا وعقليّا، والأمراض الّتي

تهاجم الجسم والدماغ في وقت واحد هي من مصدرٍ واحدٍ. كان هناك عدد من رجال أنيقين طاعنين في السن على درجة من الارتباك التام، يقفون وهم يراقبون المرضى. كان المكانُ يضمَ ساحة جميلة حيثُ يقدَمُ فيها الشاي مع الظَهيرة أمّا الحدائقُ التي كانت تزيَنُ المكان فقد كانت على درجة كبيرة من العنايةِ، وكانت الغرفُ مؤثثةً بأثاث فاخر. كانَ الزائدُ راضيًا وفخورا بما استطاعَ توفيرهُ.

ومعَ ذلك، لم تعلَق آليسن على الأمر في البداية. في الواقع لم تتحدَث على الإطلاق مع زوجها حتى جلسا لتناول العشاء في تلك الليلة. كان الأمرُ استثنائيا، إذ كانت تتناول العشاء في الطَابق السَفليَ فور وصولها. ولكن مع صباح اليوم التالي كانت مستلقية على الفراش. على مائدتهما كانت هناك شموع وورود. الخدمة المقدَمة وغطاء الطَاولة، كلُها أشياء ذات جودة فائقة.

رغم ذلك، لم تنتبه آليسن إلى هذه الأشياء الجميلة. عندما جلست إلى الطَاولة، جابت نظراتها الحائرة كامل الغرفة وهي تفحصُ الأشياء. في النَهاية نطقت بمرارة وهدوء:

«يا إلهي، يا لهُ من طاقمٍ رائع!».

لم ينسَ الزائدُ لانغدن العشاء الأخير، إذ كانَ الأخيرَ مع زوجتهِ. غادر في وقت مبكّر من صباح اليوم التالي وتوقف لقضاء الليلة في بينهورست حيث كان يملك صديقا قديما هناك. عندما عاد، كانت ثمَة برقيَة في انتظارهِ. في ليلتها الثانية هناكَ، تعرَضت آليسن لنوبة قلبيَة وماتت.

في هذا الخريف، كان النقيب بندرتن في الخامسة والثلاثين من العمر. كان في حالة مستمرة من الاحتقان المكبوت. لقد كان انشغالهُ بالجنديَ عبارة عن مرضٍ. كما هو الحال مع مرض السَرطان، عندما تهاجم الخلايا بشكل خاطئ وتبدأ بتدمير الجسد، تكبرُ في ذهنه أفكارٌ كثيرة تجاه الجنديَ لتتجاوز مع الوقت مجالها الطَبيعي. كيف نما انزعاجهُ إلى درجة الكراهية إلى أن تحوَل إلى حالة من الفزع لا يمكنهُ فهمها.

استحوذت عليهِ خيالاتٌ غريبة. لقد كانَ على الدَوامِ طموحًا. كان في كثير من الأحيان يسلَي نفسهُ من خلال توقَع التَرقيات التي سيحظى بها مبكَرا. وهكذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عندما كان شابًا، كان لاسم الكولونيل بندرتن وقعهُ الخاص. وخلال الصَيف الماضي من هذا العام، كان يتخيَل نفسه قائد فيلق يتمتَع ببراعة وقوة كبيرة. في بعض الأحيان كان يهمس بعبارة «الجنرال بندرتن»، لقد كان لذلك صدى ينساب مع اسمهِ. ولكن الآن خلال الأسابيع الماضية، كان هذا الحلم الراكد قد عكس نفسه بشكل غريب. في ليلةٍ ما، تحديدًا مع الواحدة والنَصف صباحًا، كانَ جالسًا في مكتبهِ وهو في دوَامة من التَعبِ. فجأة، في الغرفة الصَامتة، تحرَرت ثلاث كلماتٍ على لسانهِ. «الجندي ويلدون بندرتن». أثارت هذه الكلماتُ راحة وارتياحا لدى النقيب. وبدلاً من أن يحلم بالشَرف والرتبة، غاص في شعور أن يكون المرء مجنَدًا وتخيَل نفسهُ كذلك. في هذه الأوهام، رأى نفسه شابًا. توأمًا للشابُ الذي يكرههُ. صورة الجندي وليامز نسجت نفسها من خلال أحلام اليقظة. كانت الثكنة خلفية لكل ذلك: ضجيج الشباب الذكور، المتسكعون تحت أشعة الشَمس، الخدعُ العبقرية بين الرَفاق. أصبحت للكابتن بندرتن عادة المشي كلَ ظهيرة أمام الباحة حيثُ يجلسُ الجنديَ وليامز. عادة ما يرى الجنديَ وهو يجلس وحيدا على المقعد نفسه. المشي على الرَصيف سيجعل النقيب على بعد ياردتين من الجنديَ، ومع اقترابه سيقوم الجنديَ وليامز بإلقاء التحية بتردَد. كانت الأيَام تنمو ببطء. وفي هذا الوقت المتأخَر من العصر كان الظَلام يحوَمُ في الهواء. لفترة وجيزة بعد غروب الشمس كان هناك توهَج ضبابيَ في السَماء.

بدا الجنديَ منجذبًا إلى وجهِ النقيب وهو يمرُ من أمامهِ بخطى خفيفة، حتَى أنَ النقيب بدا حائرا لماذا لم يقم الجندي بإبعاده أو المغادرة نحو مكانٍ آخر في ذلك الوقت. هذا التصرَف الذي يلازمُ الجندي، ملأ النقيب متعةً. بعد مغادرة الجندي، اضطر إلى قمع رغبته في الالتفاف، وبينما كان يمشي بعيدًا، شعر أن قلبه ينتفخ مع حزن وحشي لا يستطيع السيطرة عليه.

حدثت بعض التغييرات في منزل النقيب. ارتبطَ الرَائدُ لانغدن بعائلة بندرتن كما لو كان فردًا ثالثًا في العائلة وكان هذا الوضع مقبولًا لكلَ من النقيب وليونورا. لقد كان الرائد مذهولًا وعاجزًا بعدَ وفاة زوجته وانعكس ذلك على جسدهِ الذي أنهكهُ التَعب. هجرهُ كلَ ما يرمزُ للسَعادة. حين يجلسُ ثلاثتهم أمام الموقدِ، يحاولُ دائما أن يجلسَ في موضعٍ يسبَب لهُ التَعب. كان يلوي ساقيه حول بعضهما البعض مثل بهلوانٍ. تركَزت أفكاره وكلماته الآن بالكامل على آليسن وجزء من حياته الذي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انتهى الآن بشكل مفاجئ. كان يميل إلى تقديم اتّهامات دنيئة تتعلّق بالرّب والرّوح والمعاناة وأشياء تتعلّق بالموت.. أشياءُ تزرعُ اليباس على فمهِ وتجعلُ لسانهُ غليظًا.

كانت ليونورا تعتني به، وتطعمه عشاءً مميزا، وتنصتُ إلى ما يصدرُ عنهُ من إشاراتٍ حزينةٍ.

قالَ مرارًا: «لو أنَّ آناكليتو يعودُ فقط».

غادرَ آناكليتو المصَحة بعدَ وفاةِ آليسن ولم يسمع أحدٌ عنهُ أيّ شيء. حزم أمتعتهُ واختفى تمامًا. لتجدَ ليونورا بديلا لآناكليتو، قامت بتكليف أحدِ إخوةِ سوزي كي يطبخ لهُ. لسنوات، كان الرّائدُ يتوق إلى صبي عادي اللون يمكنهُ سرقةُ مشروبهِ الكحولي وتركِ الغبار تحتِ السّجّادةِ. ولكن من بحقّ الرّب، سيتجنّب العبث بالبيانو والثرثرة بالفرنسية. أخُ سوزي كان فتى جيّدا، كانَ يلعبُ بمشطٍ ملفوف في ورق الحمّام ويسكر ويقومُ بطهي خبز الذرة بشكلٍ جيّدٍ. لكن في الوقت نفسه لم يشعر الرائد بالرضا الذي كان يتوقّعه. لقدَ غابَ آناكليتو وشعرَ بالنّدم على ذلك.

«أنت تعرف أنني اعتدت على الشيطان آناكليتو من خلال وصف ما كنت سأفعله بهِ. لقد كنت أمازحه تقريبًا وكان يبدو لي أن عملية تجنيده كانت ستكون أفضل شيء في هذا العالم».

كان النقيب متعبًا من الحديث عن آليسن وآناكليتو. لقد كان من المؤسف أنَ الفلبيني الصّغير التّعيس لم ينفد بنوبة قلبية أيضًا. كان النقيب متعبًا من كلّ شيء محيطٍ بالمنزل هذه الأيام. كانت الوجبات الجنوبية البسيطة والممتعة بالنسبة إلى ليونورا وموريس بشكل خاص عديمة المذاق بالنسبة إليه. كان المطبخ قذرا، وكان النقيب متذوّق طعام جيّدًا وطبّاخا ماهرا. أعرب عن تقديره لمطبخ نيو أورلينز الرائع وتناغمهِ الدّقيق والمتوازن مع الطّعام الفرنسيّ. في كثير من الأحيان، في الأيام الخوالي، اعتاد أن يذهب إلى المطبخ عندما يكون بمفرده في المنزلِ، ليقوم بطهي طعامه الشّهي المفضّل. كانت شرائحُ اللحم البقري مع البارنيس هي طبقهُ المفضّل. لقد كانَ شخصًا طوباويًا صعبًا. إذا تمَّ طهي التورنيدوس أكثر من اللازم أو إذا كانت الصّلصة ساخنةً ومتخثّرة، فسيقومُ بأخذها إلى الفناء الخلفي وحفر حفرة ودفنها فيها. ولكنّهُ الآن، فقد كلّ شاهيتهِ للطّعام. في هذه الظهيرة ذهبت ليونورا إلى السينما وقامت بتسريحِ سوزي. فكّر في طهي شيء مميّزٍ. ولكن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في خضمَ استعدادهِ لذلك فقد كلَ شهيتهِ وترك كلَ شيء على حاله ثم خرج من المنزل.

قالت ليونورا: «يمكنني تخيّل آناكليتو وهو في الجيش».

قالَ الرّائدُ: «رأت آليسن على الدّوامِ أنني أفتحُ هذا الموضوعَ لأبدو قاسيًا. ولكنَ الأمر لم يكن كذلك. لن يكونَ آناكليتو سعيدا في الجيش ولكن يمكنه أن يجعلَ منهُ رجلًا. على الأقل، سيخلّصهُ من كلَ التفاهات العالقة داخلهِ. ولكن ما كنتُ أعنيهِ أنّهُ من المريعِ لرجلٍ كبيرٍ في الثّالثة والعشرين من عمرهِ أن يرقص ويمضي وقتهُ بين الألوانِ المائيّة. في الجيش سيمسحون به القاع وسيكون بائسا جدًا ولكن رغم ذلك، يبدو هذا الأمر بالنّسبة إلي أهمَ من أشياء كثيرة».

قال النقيب بندرتن: «هل تعني أنّنا لسنا بحاجةٍ إلى أيّ وفاء يكلّفنا سعادتنا وأنّهُ يقفُ أمام فرضية تحقّقها».

«ألا تتّفقُ معي في هذه المسألة؟».

توقّفَ النقيب قليلًا وقد غرق في حيرة رهيبة دفعتهُ إلى الانغماسِ في روحهِ والنّظرِ إلى ذاتهِ. فلم يسبق لهُ أن نظر إلى نفسهِ مثلما ينظرُ إليهِ الآخرون. لقد ارتسمت أمامهُ صورة دمية مشوّهة، بوجه ذابل وجسدٍ بشعٍ. استقرّ النقيب على هذه الرؤية دون شفقةٍ. لقد قبلها كما هي، دون عذرٍ.

قالَ: «لا أتّفقُ معكَ».

فكّرَ الرّائدُ طويلًا في إجابتهِ الّتي لم تكن متوقّعةً، ولم يكمل المحادثة. كانَ يجدُ على الدّوامِ صعوبة في ربط فكرة بفكرة أخرى. قادهُ الصّداعُ إلى العودة إلى تفاصيل من حياتهِ. قال: «نهضتُ في أحدِ المرّات، قبل أن تشرق الشمس. لاحظتُ أنّ المصباحَ لم يزل مضاءً فدخلتُ إلى غرفتها. هناك، وجدتُ آناكليتو جالسًا على حافّةِ السّرير. كان كلاهما ينظرانِ إلى أسفل ويتمازحانِ بشيء ما. وما الذي كانا يفعلانهِ؟». ضغطَ الرّائدُ بأصابعهِ الحادّة على مقلتي عينيهِ وحرّكَ رأسهُ مرّة أخرى. «آه، كانا يسقطان أشياء صغيرة في حوضٍ من الماء. لقد جلب آناكليتو معهُ بعض الأشياء الصغيرة وهي عبارة عن عشرة جسيماتٍ صغيرة تنفتحُ كأزهارٍ في الماء. لقد كانا يجلسان هناك حتّى الرّابعة صباحًا وهما يتسلّيان بتلكَ المجسّمات. جعلني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلكَ أنفعلُ بسرعةٍ. وعندما تعثرتُ بنعلي آليسن على جانب السَرير، فقدتُ أعصابي واعتديتُ عليها بالضَرب داخلَ الغرفةِ. كانت آليسن مشمئزة منّي، ولأيّامٍ، عاملتني ببرودٍ كما لو كانت قطعةَ ثلجٍ. أمّا آناكليتو، فقد كانَ يخلطُ السّكر بالملحِ عندما يقدّم لي القهوة. لقد كانَ الأمرُ محزنًا. لقد عانت في تلكَ اللّيالي».

قالت ليونورا : «لقد مضيا بعيدا الآن».

ليونورا نفسها، تغيّرت قليلا في الأسبوعين السّابقين. كانت تقترب من الدّخولِ في مرحلةٍ من النّضجِ التّام. في هذه الفترة، بدا جسدها فاقدًا لبعض سماتهِ الأنثويّة، فقد كان وجهها عريضًا بعض الشّيء، وفي تعابيره نوع من الحنوّ الشّفّاف. بدت كما لو أنّها أمّ لعدد من الأطفال، في انتظار طفل سيأتي بعدَ ثمانية أشهر. كانت بشرتها حسّاسة وبصحّة جيّدة ولكن رغم ذلك، كانت تفقدُ وزنها تدريجيًا ولم تكن ثمّة علامة على ترهّلها. لقد شعرت بالفزع من وفاة زوجة عشيقها. لقد صُدمت بمشهدِ الجسدِ المسجّى في النّعشِ ففقدت القدرة على الكلامِ لأيّامٍ عديدة بعدَ الجنازة، وكلّ ما كانت تنطقُ بهِ، كانَ مجرّد همساتٍ مذعورة. تعاملت مع الزّائدِ بفتورٍ وهي تكرّر الحكاياتِ السّعيدة العالقة في ذاكرتها والمتعلّقة بآليسن.

قالَ النقيب فجأة: «بالمناسبة، لم أستطع التّوقف عن التّفكير في اللّيلة التي أتت فيها إلى البيت. ما الّذي قالتهُ لك ليونورا؟».

«لقد أخبرتكَ أنّني لم أعلم بقدومها أصلا ولم توقظني حتّى».

رغمَ ذلكَ، لم يكن النقيب راضٍ عن تلكَ المسألة. كلّما تذكّر المشهدَ الذي جمعهُ بها في مكتبهِ، كلّما ازداد غرابة. لم يشكّ مطلقا في صدقِ ليونورا، فحين تكذبُ يكون ذلكَ جليا للجميع. ولكن، ما الذي كانت آليسن تعنيهِ عندما قدمت إلى المنزل وصعدت الدّرج؟ شعرَ أنّهُ يملكُ الإجابة في مكانٍ ما من عقلهِ. كلّما فكّر في الموضوع، كلّما ازدادت حيرتهُ.

قالت ليونورا: «أتذكّرُ حينَ ذهبنا جميعنا إلى كارولينا الشّمالية، في الظّهيرة عندما الحجل عندَ صديقك موريس. أتذكّر أنّني كنتُ مذعورة. كنتُ أمشي أنا وآليسن وآناكليتو في شارعِ المدينة فاعترضنا حصانٌ شبيهٌ ببغلٍ، كانَ يُستغلُّ في حرث الأرض. قرّرت فجأة أن تمتطيه. نجحت في تكوين صداقة سريعة مع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صاحب الحصان فتسلّقت حائطَ الثكنة ثمّ ارتمت فوق الحصانِ الذي لم يكن مسرجًا. تصوّر ما الّذي حدثَ! أعتقدُ أنّ الحصان لم يتم امتطاؤهُ منذ سنواتٍ. حين امتطتهُ، صوّبَ الحصان رأسهُ إلى أسفل وشرعَ في الدّوران. لقد اعتقدتُ لحظتها أنّ نهاية آليسن قد حانت ولهذا أغلقت عيني. ولكن لم تمض دقيقة على ركوبها الحصان حتّى قامت بترويضهِ فانطلق يخبو في أرجاء الحقل كما لو أنّ شيئا لم يحدث. أنت نفسكَ تعجزُ عن فعلِ ما فعلتهُ بندرتن! أمّا آناكليتو فقد كان يركضُ كطائر سكرانٍ. يا إلهي، يا له من زمن!».

تثاءبَ النقيب بندرتن، لا لشعورهِ بالنّعاس ولكن لأنّ ليونورا تطرّقت إلى علاقتهِ بركوبِ الخيل وهذا ما أثار غضبهُ وأحيا حزنهُ. كانت ثمّة ذكريات مريرة بين النقيب وليونورا تتعلّق بالحصان فايربيرد. بعدَ هيجانِ الحصان وتغيّر أشياء كثيرة من صفاتهِ، لامت ليونورا زوجها بقوّةٍ. ومع ذلك، فإن أحداث الأسبوعين الماضيين عملت على تضييق مجرى الخلاف بينهما وكان النقيب واثقا من أنها ستنسى الأمر بسرعةٍ. أغلق الرائد لانغدن محادثة هذا المساء بعرضِ أحدِ أمثلتهِ المفضّلة: ««هناك شيئان مهمان بالنّسبة إلي الآن لأكون حيوانًا جيّدًا في خدمة بلدي. الجسم السليم والوطنية».

في هذا الوقت، لم يكن منزل النقيب بندرتن مكانًا مثاليًا لشخص يعاني من أزمة نفسية حادة. في السّابقِ كانَ النقيب يرى في موريس لانغدن ملاذا له ولكن الآن، يرى أنّ شبحَ الموت يحوّم في أرجاء المنزلِ. بالنسبة إليه، لم ير أنّ آليسن هي الوحيدة التي ماتت، بل رأى أنّ حياة ثلاثتهم قد انتهت بطريقة غريبة. الخوف القديم من أن ليونورا قد تطلّقه وتذهب مع موريس لانغدن لم يعد يزعجه بعدَ اليوم. تبدو ميولهُ تجاهَ الرّائد الآن مجرّدَ كراهية عابرة مقارنة بمشاعرهِ تجاهَ الجندي. المنزلُ نفسهُ تحوّل إلى مصدرٍ للغضب بالنسبة إلى النقيب في هذه الأيّام. لقد تمّ تأثيثهُ بطريقة عشوائية. في غرفة الجلوس، كانت هناك أريكة تقليدية مغطاة بطبقة زهرية منقوشة وكرسّيان وسجّادة.

أثناء نزهاتهِ الطّويلة عند الظّهر، كان ثمّة حساسية حادّة تتملّك النقيب، قريبة من الهذيان. شعرَ بأنّهُ معزولٌ عن البشريّة، وأنّهُ يحملُ صورة حزينة تجاهَ جنديّ شابّ. لقد عانى طيلة هذه الفترة من ألمٍ مخصوص. على الرّغم من أنّه شعر أنه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معزول عن العالم كلّه، فإن الأشياء الّتي رآها من حولهِ قد اكتسبت أهمية غير طبيعية في عينيه. يبدو أن كل شيء كان على اتّصال به، حتى الأشياء الأكثر شيوعًا، كان لها تأثير غامض على مصيره.

على سبيل المثال، إذا صادف وجود عصفور على المزراب، سيقف لدقائق كثيرة وهو يتأمله. لقد فقد في الوقت الحالي، الملكة الحسيّة التي تصنّف الأشياء المختلفة وفقا لاعتبارات نسبية. عند ظهر أحد الأيام، شاهد شاحنة تصطدم بسيارة. أثّر فيهِ هذا المشهد الدّامي ولم تمضِ دقائق حتّى رمى الصّحيفة من يديهِ فطارت عاليا في مهبّ الرّيح.

منذُ فترةٍ طويلة، توقّف عن ربطِ مشاعرهِ بالكراهية تجاه الجندي وليامز. إضافة إلى ذلك، لم يبحث عن مبرّر لمشاعرهِ التي يحملها تجاههُ. فكّر في الجندي وسط غيابٍ تامّ لمشاعر الحب والكراهية. كان يدرك فقط التّوق الذي لا يقاوم لكسر الحاجز بينهما. عندما رأى الجنديّ من بعيد في وقت استراحتهِ، تملّكتهُ رغبة في الصّراخ، أو في لكمهِ ليردّ عليهِ بالطّريقةِ نفسها. لقد مضت سنتان الآن منذ رؤيتهِ للجندي. مضى أكثر من شهر منذ تكليفهِ بأن يقوم بعملٍ شاقٍّ وكانَ عبارة عن تنظيف الغابة. طيلة ذلك الوقت، لم يسبق لهما أن تحدّثا وكلّ ما دار بينهما كان مجرّد كلماتٍ عابرةٍ.

في ظهيرة الثاني عشر من تشرين الثاني، خرج النقيب بندرتن كعادته. كانَ يومًا شاقًّا. في صبيحة ذلك اليوم، كانَ في القسم يقفُ أمام سبّورة يشرحُ فيها بعض المسائل التكتيكية. وفجأة فقدَ ذاكرتهُ بطريقة غريبة. في منتصفِ الجملةِ، فقد كلّ ما يحملهُ في عقلهِ. لم ينسَ الكلماتِ أثناء تقديمهِ لمحاضراتهِ فحسب بل نسي وجوهَ تلامذتهِ الضباط وبدت القاعة غير مألوفة بالنّسبة إليهِ. كانَت تتواترُ على عقلهِ صورة الجندي وليامز جليّة وواضحة. كانَ يقفُ في ذهولٍ لبعض الوقت وأصابعُ الطّباشير في يدهِ. وفجأة صدحَ عقلهُ لإنهاء الحصّة.

مشى النقيب بقوة على طول أحد الأرصفة المؤدية إلى باحة الثكنة. كانَ الطّقسُ مع الظهيرة رائعًا. كانت هناك أربع غيماتٍ في السماء، وفي أفقها الرّحب، بدت صافية بشمسها الساطعة. . كانَ النقيب يمشي منحنيا وهو يحدّقُ في أبواطِ جيوشهِ وفي حذائهِ اللامعِ. رفعَ رأسهُ فقط كي ينظر إلى المقعدِ حيثُ يجلسُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجندي وليامز. نظرَ إليه لبعض الثواني ومضى إليه ببطء فانتبه إليه الجنديّ.

قال الجنديّ: «الجنديّ وليامز».

انتظرَ الجندي، لكنّ النقيب بندرتن لم يواصل حديثهُ. كان يعتزم توبيخ الجنديّ بسبب انتهاكه للَوائح المتعلقة بالزيّ الرَسميّ. بينما كان يقترب، بدا له أن الجندي وليامز قد قام بتزرير معطفه بشكل خاطئ. للوهلة الأولى، بدا أنه يرتدي الزي العسكري فقط، أو أنّهُ قد أهملَ جانبًا مهمًا من لباسهِ. ولكن عندما كانا وجهاً لوجه، رأى النقيب بندرتن أنه لا يوجد شيء يستدعي انتقاداته. كان انطباع الإهمال المدني يرجع إلى جسد الجنديّ نفسه ولا وجود لانتهاك خاص لقواعد الجيش. وقف النقيب في صمتٍ خانقٍ أمام الشاب. كانت ثمّة لعناتٌ كثيرة تختلجُ مع كلمات الحب، والأدعية، والظّلم. ولكن في النّهاية عادَ أدراجهُ في صمتٍ.

توقّفت الأمطارُ التي كانت تهدّدُ عودةَ النقيب بندرتن إلى المنزل. لم يكن هذا مطرًا شتويًا بطيئًا، هطل مع عواصف الصيف الرعدية. كان النقيب على بعد عشرين ياردة من منزله عندما هطلت عليه أول القطرات. في وسعه أن يركض بسرعة ليصل إلى البيت. ولكن خطواته المجرورة لم تسرع رغمَ لظى الجليدِ الذي أصابهُ. عندما فتحَ الباب الأمامي، كان يرتعدُ وهو يفتحُ عينيه.

ذهب الجندي وليامز إلى الثكنة عندما اشتمّ رائحة مطرٍ قادمةٍ. جلسَ في قاعة الجلوس حتّى حانَ موعدُ العشاء، وسطَ تلكَ الفوضى، أكلَ وجبة دسمة. وبعدَ الأكل، أخذ من خزانة ملابسه كيسًا من الحلوى.

بينما كانَ يمضغُ حلوى الخطمى، ذهب إلى الحمّام حيث دخلَ في شجارٍ، كانت كلّ دورات المياه معطلة باستثناء واحدةٍ، وكان ثمة جندي أمامه بصدد أن يفتح أزرار سرواله. عندما كان الرّجل بصدد الجلوس، قام الجنديّ وليامز بلكمه محاولًا إبعاده عن المكان. تحلّقت مجموعة من الجنود حولهما. في البداية، قدّم الجندي أفضل ما لديه، إذ كانَ سريعًا وقويا. أثناء القتال لم تظهر على وجهه ملامح الغضب ولا ملامح التعب. كانت ملامحه لم تزل هادئة والعرق يتصبّب من على جبهته. نظرة العمى في عينيه، أظهرت نتائج كفاحه. لقد تركَ الجندي وليامز خصمه في حالة عجز وكان على وشكِ الفوز عندما استسلمَ فجأة. بدا وكأنه فقد الاهتمام بالقتال ولم يكلّف نفسه عناء الدّفاع عن نفسه. لقد تعرّض للضّرب المبرح ورأسه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضُرب بشدّة على الأرضية الأسمنتيّة. عندما انتهى الأمر، وقف بفظاعة وغادر دورة المياه دون أن يقضي حاجتهُ.

لم تكن هذه هي المعركة الأولى الّتي أثارها الجندي وليامز. خلال الأسبوعين الماضيين كان يقيم في الثكنةِ كلّ ليلة، وأثار الكثير من المتاعب. كان ذلك جانبًا جديدًا من شخصيته لم تتوفّر لزملائهِ فرصةُ اكتشافهِ. كانَ يظلّ لساعات في صمت وحزنٍ وفجأة يقرّر اقتراف جرائم لا تغتفر. لم يعد يمشي في الغابة في وقت فراغه. وفي الليل، كان نومهُ مشوّشًا ومليئًا بالكوابيس. ورغم ذلك، لم يفكّر أحدٌ في تصرّفاتهِ الغريبة. كانت ثمّة تصرّفات في الثّكنة أشدّ غرابة من تصرّفاتهِ. كانَ ثمّة عريف قديمٌ يكتبُ رسالة كلّ ليلة إلى «شيرلي تيمبيل»(2) في شكل يوميات ويقومُ بإرسالها في صبيحة كلّ يوم قبل فطور الصّباح. حدثَ أيضا أن قفز رجل، أمضى عشر سنوات في الخدمة العسكريّة، من الطّابق الثالث لأنّ صديقهُ لم يعرهُ خمسين سنتًا من أجل شراء علبة بيرة. حدثَ أيضًا أن كانَ ثمّة طبّاخ من المجموعة ذاتها، طبّاخ مطارد من فكرة ثابتة حول إصابتهِ بالسّرطانِ في لسانهِ، وهمٌ لا يمكنُ لأي نفي طبّي أن يبدّدهُ. كانَ يتحطّمُ أمامَ المرآة وهو يخرجُ لسانهُ وبلغَ بهِ الأمرُ إلى تجويع نفسهِ حدّ الهزال.

بعد المعركة، ذهب الجنديّ وليامز إلى غرفة النوم واستلقى على سريره. وضع كيس الحلوى تحت وسادته وحدّق في السقف. كان الوقت ليلا عندما خفتت المطرُ. طافت بعضُ الأفكار الغبية في عقل الجندي وليامز. فكر في النقيب، لكنه رأى فقط سلسلة من الصّور المجرّدة التي بلا معنى.

لم يقترب من منزل النقيب منذ الليلة التي أضيء فيها المصباحُ ولمحَ فيها تلكَ المرأة الّتي كانت تنظرُ إليهِ على عتبةِ الباب. في ذلك الوقت، تملّكهُ خوف كبير، لكن تلكَ الرّهبة كانت جسديّة أكثر منها عقلية. بعد أن سمع الباب الأمامي وهو يغلقُ، نظر بحذر ورأى الطريق واضحة. ركضَ مرّة أخرى عبر الغابة في صمتٍ إلى درجة أنّهُ لم يعرف مصدرَ خوفهِ.

لكنّ ذكرى زوجة النقيب لم تتركه. كانَ يحلمُ بتلك المرأة كلّ ليلة. في أحدِ المرّات، تعرّض إلى التّسمّم ممّا توجّب نقلهُ إلى المستشفى. فكرة المرض الخبيث المتعلّق بالنّساء قد جعله يرتعد تحت الغطاء كلما اقتربت الممرّضات منه. لقد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قضَى ساعات في البؤس بدلاً من طلب المساعدة منهنَ. لكنه لمس امرأة وكان كلَ ما يعاني منهُ مجرَد مرضٍ عابر. كانَ يسرجُ حصانها كلَ يومٍ ثمَ يقف لمشاهدتها وهي تمتطيهِ وتركض بهِ بعيدًا.

في الصباح الباكر كانت هناك مرارة شتوية تسبحُ في الهواء وكانت زوجة النقيب نائمة في هدوء. كانت تمازح الجندي وليامز على الدَوام، ولكنَهُ لم يلتفت لها مباشرة كي يجيبها على دعاباتها. لم يكن تفكيره بها مرتبطا مطلقا بالإسطبلات أو بالهواء الطلق. بالنسبة إليه، كانت دائمًا في الغرفة حيث شاهدها ليلا على تلك الدرجة من السَكينة. كانت ذاكرته في هذه الأوقات حسَاسة بالكامل. كان هناك سجَادة سميكة تحت قدميه، وخيوط من حرير ورائحة عطر خافتة. وكان ثمة دفء يسكن جسد امرأة ناعمِ. لقد أدرك للتوَ أنَ ما دأبَ على فعلهِ، لا يمكنهُ التَخلص منهُ، وأنه شيء وفيَ له، كالموت تماما. توقف المطر في منتصف الليل. مضى وقت طويل على انطفاء الأضواء في الثَكنة ولم يخلع الجندي وليامز ملابسهُ بعد. بعدَ توقَف المطر، انتعل حذاءه ومضى إلى الخارج. في طريقهِ إلى منزلِ النقيب، سلكَ المسلك نفسه عبر ضواحي الغابة التي تحيطُ بالمعسكر. ولكنَ الليلةَ لا يوجدُ قمرٌ والجندي كانَ يمشي بسرعة أكثر من اللَازم. حدثَ أن ضاعَ مرَة في الطَريق، وعندما بلغَ منزلَ النقيب تعرَض إلى حادثٍ. في تلك العتمة، تعثَر فيما بدا لهُ حفرة عميقة. كانَ المنزلُ مظلمًا، أمَا الجندي الذي تعرَض للخدش والوحل وانقطعت أنفاسه، فقد وجدَ نفسهُ ينتظرُ في الخارجِ. لقد قدمَ إلى هنا في ستَ مرَات، وهذه المرَة السَابعة والأخيرة.

كان النقيب بندرتن يقف عند النافذة الخلفيَة في غرفة نومهِ. لقد أخذ ثلاث كبسولات ولكنَهُ لم يستطع النَوم. لقد كانَ في حالةِ سكرٍ بعدما شربَ البراندي. كان النقيب متذوَقًا جيَدًا ويملكُ خزانةً ملابسَ رائعةٍ ولا يرتدي إلا ملابسَ النَومِ الأنيقة.

كان النقيب يستمع إلى حفيف أشجار الصَنوبر عندما رأى وميضا صغيرا من اللهب. خمدَ ذلكَ اللَهبُ في لحظة واحدة بمفعول الرَياح، ولكن في تلكَ اللَحظة، لمحَ النقيب وجهًا بشريًا. ولكنَ ذلك الوجه الذي ظهر مع قبس اللَهب وغابَ مع الظَلام جعل النقيب يحبسُ أنفاسهُ. راقب ما يحدثُ وكان يجدُ صعوبة في التَعرف على ذلك الجسد الذي يعبر المرج الأخضر. شدَ النقيب طرفي ثوبهِ ووضعَ يديهِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على صدرهِ ثمَ أغمض عينيه وانتظرَ.

في البداية لم يصدر أيّ صوت . ولكن لاحقًا، سمعَ وقع أقدامِ حذرة تسلك الدَرج. كان باب النقيب مواربًا، فرأى صورة ظلّية داكنة. لقد همس بشيء ما، لكن صوته كان منخفضًا حتى أنه بدا كريحٍ تهبُ من الخارجِ.

انتظرَ النقيب بندرتن. كانت عيناهُ مغلقتين مرّة أخرى، وقف هناك للحظات من التَرقّب الحزين. مع مرور الوقت، خرجَ نحوَ قاعة الجلوسِ، فرأى كائنًا يرتسم عبر نافذة زوجتهِ الرَماديَة. كائنٌ سبقَ لهُ أن رآه. كانَ النقيب في تلكَ اللّحظة يخبرُ نفسهُ أنهُ يعرفُ كلّ شيء. في اللّحظاتِ الخطيرةِ، تُعرضُ عديد الاحتمالات. وحينَ تعرّفُ الكارثة بنفسها، يولدُ فهمٌ مسبقٌ خارقٌ للطبيعة. أخذ النقيب مسدّسه من درج طاولة سريره، سلك قاعة الجلوس، أضاء المصباح في غرفة زوجته. حينَ أضيئت الغرفة، نهضت شظايا كثيرة كانت نائمة على النّافذة. بلغهُ صوتُ الليلِ الآن. قالَ لنفسهِ إنّهُ يعرفُ كلّ شيء. ولكن ما كانَ يعرفهُ لم يكن في وسعهِ التّعبير عنه. لقد كانَ متأكّدا فقط أنّ تلك هي نقطة النّهاية.

لم يكن للجنديّ الوقت الكافي لينهضَ من وضع القرفصاء. رمش أمام الضّوء ولم يكن هناك خوف في وجهه. كانت ملامحهُ تكشفُ عن انزعاجٍ وذعرٍ.

لقد كانَ النقيب ماهرًا في الرّماية، ولكن رغمَ ذلك، عندما أطلقَ الرّصاص مرّتين لم ترتسم سوى حفرة واحدة في صدرِ الجنديّ.

أيقظَت طلقةُ المسدّس ليونورا فنهضت مذعورة. لقد كانت نصف مستيقظةٍ. حدّقت من حولها كما لو كانت تشاهدُ مشهدًا مسرحيًا أو مأساة شنيعة ليس من الضّروري تصديقها. على الفور فتحَ الزّائد لانغدن الباب الخلفيّ ثم سارع بصعودِ الدّرج مرتديًا نعليهِ وملابسَ النّوم. كان النقيب قد سقط على الحائط. بدا في ملابسِ النّومِ، أشبه براهبٍ مكسورٍ ومحطّمٍ. حتى في الموت، كان جسد الجنديّ ما يزال يتمتع بالرّاحة والحيويّة. لم يتغير وجهه الرّصينُ ويداه البنيّتانِ الملفوحتانِ بالشّمس تضعانِ راحتّي كفّيهِ فوقَ السّجّادةِ كما لو كانَ نائمًا.

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner